السنة الحادية عشرة   العدد ٦ حزيران   سنة ١٩٠٨

المشرق

معادن الرند الذهبية

والتعدين في الترنسفال وافريقية الجنوبية

بقلم اسكندر افندي طحيني احد طلبة السنة الثالثة في المكتب الهندسي في جوهنسبورغ

مقدمة

يدعون بالرَّند (the Rand) سلسلة تلك الطبقة الارضية التبرية الترنسفالية الممتدة من انحاء بوكسبرغ (Boksburg) (١ شرقًا الى اطراف كروجرسدورب (Krugers-dorp) (٢ غربًا مسافة ستين ميلًا طولًا بعرض تعدلهُ خمسة عشر ميلًا. فوقها ارتفعت بنايات تلك المعادن البديعة بتركيبها ونظامها التي ادهشت العالم بوفرة غناها واستدرار ذهبها وقامت في ضواحيها المدن العامرة بالسكان واشهرها مدينة جوهنسبورغ التي منذ عشرين سنة لم تكن سوى سهول قاحلة نُصبت فيها عدَّة مضارب حقيرة لم يأمن فيها نازلوها هبوب الارياح وعواصف الامطار وقد اصبحت الان جنَّة فيحاء تضمُّ في بطحائها مائتين وخمسين الف نسمة من السكان ابتنوا لسكناهم القصور الشاهقة والمخازن

---

١) هي بلدة تبعد زهاء ثلاثين ميلًا من جوهنسبورغ فيها معادن غنية بالفحم الحجري والذهب وفيها بنايات حسنة ودار للحكومة جميلة وبحيرتها هي من اجمل المناظر الطبيعية في الرند يقصدها آل جوهنسبورغ في الاعياد للنزهة والراحة وسكانها زهاء ١٧٠٠

٢) واسمها مشتق من اسم الرئيس كروجر تبعد ٢٠ ميلًا عن جوهنسبورغ وهي اهمُّ بلاد الرند الغربي وبها الكنائس الجميلة وسراية للحكومة متقنة البناء والهندسة وبها غرفة تجارة وبها مقام الجمعية الترنسفالية الزراعية ومناخها جيد للغاية والعواصف وآفة البرَد قليلة الحدوث فيها جدًّا وفيها ايضًا تمثال يرمز الى انتصار البوير على الزنوج سنة ١٨٣٦ تؤمّهُ الزوار كل سنة تذكارًا لهذا الحَدَث الجليل الذي خلّص البيض من الهلاك والدمار

الجميلة والحدائق الغناء واستخدموا لاسفارهم الخيول المطهمة والمركبات المتحركة المروقة بالاوتوموبيل فضلاً عن البخار والكهرباء (١

*

اما بعد ولما كانت معرفة احوال هذا الرند العجيب تستلفت اليها انظار الادباء والعلماء والتجار والعمال نظراً لاهميته التاريخية والاقتصادية والمالية والتجارية والسياسية والصناعية فضلاً عن المضاربات الطائلة التي تتنازع اسهمها العديدة قد رأيت ان اسطر على صفحات المشرق الاغر لمحة وجيزة عن تاريخه واحواله وكيفية التعدين به الى غير ذلك مما توصلتُ اليه بعد الدرس والتدقيق الطويل والاختبار وعلى الله الاتكال

١ً تاريخ الرند

انه لقد اصبح من المقرر والثابت الان ومما لا ريبة فيه ان تعدين الذهب في جنوبي افريقية عريق في القدم كما تثبته الآثار والخرائب الكثيرة فقد تبين من خرائب زيمبابوي (Zimbabuy) (٢ الشهيرة وهندسة جدرانها المادية شارات بينة تدل على علائق ومواصلات تجارية بين ثغر صوفالا (٣ وهو ثغرها الطبيعي ومدينة سبا المذكورة في الكتاب المقدس والقائمة على سواحل جزيرة العرب الجنوبية . وهناك امرٌ خطير قد شغل عقول العلماء طويلاً واثار بينهم الجدال العنيف في اصل هذه البقايا الموجودة في زيمبابوي وغيرها من الخرائب المجاورة أهي من بقايا الفينيقيين السوريين أم من بقايا السابئين العرب وايُّ الشعبين شادها فهذا الامر لا تزال المناقشة قائمة فيه

(١ هذه هي التآليف التي استعنّا بها لتدوين مقالتنا : ١ً Skinner's : Mines of Transvaal ٢ً The New Foster: Ore and stone Mining ٣ً رحلة كارل موخ (Carl Mauché) الى افريقية ٤ً تقارير غرفة المعادن في جوهنسبورغ ٥ً تقارير دائرة المعادن الحكومة الترنسفالية الخ والمجلات The African World ; South African ; S.Africa Mines

(٢ اكتشف هذه الاثار فيليبس G. A. Philips سنة ١٨٦٧ ولكن على ما يظن ان البرتوغاليين كانوا يعرفونها قبل هذا الاكتشاف وهي عبارة عن بنايات ضخمة يظهر منها انها مبنية لاجل الدفاع والمجاورة لها هذه البنايات مربعة الشكل وليست مشيدة بالكلس والطين وفيها كان القدماء يعالجون الذهب المستخرج من ضواحيها ويسبكونهُ على النار

(٣ هي بلدة قديمة وحقيرة موقعها الان الى جنوبي بلدة بيرا (Beira) على الاوقيانوس الهندي بها عدة اثار قديمة وفي ضواحيها نهر يسمى شذرات التبر

على قدم وساق لا سيما بعد ان وجدوا فيها آثاراً من العبادة الفلّيّة (Phallique) التي يصحّ انقاؤها الى الشمين سواء

وقد وُجدت آثار التعدين منتشرة في تلك الانحاء اي على مقربة من زيمبابوي المذكورة انتشاراً عظيماً الى ان بلغ بعض المعادن التي عدّنها القدماء في جوار الرند وبعض المعادن لا تبعد عنهُ اكثر من مائة ميل وقد احصي من هذه المعادن المكتشفة والمهملة الان ما ينيف عن الالف وخمسمائة معدن

وقد ذهب بعضهم الى ان بلاد المشونالند (Mashonaland) ليست هي سوى بلاد اوفير المذكورة بالتوراة ولكن لا يمكننا المصادقة على هذا الرأي لاسباب يطول ذكرها الان

ومما وُجد مؤخراً في قعر بعض الانهر حجر الصّوان على شكل فؤوس وحراب وغيرها لاحتياجات الانسان وقد وجد ايضاً منها في قعر بعض المعادن المطمورة وهو امرٌ يدل على سكنى البشر جنوبي افريقية من اقدم الزمن. واما تلك القبائل الوطنيّة التي كانت قاطنة بين نهري الزمبيز واللمبوبو (Zambese and Limpopo) قبل ان تطردها قبائل الماتابيلي (Matabele) وتدمّر بلادها فقد تبين ان اصحابها كانوا يحسنون تعدين الذهب والنحاس والحديد في قلب الارض لاصطناع اسلحتهم وكانوا يشيدون حول قراهم اسواراً من حجارة مربعة الشكل يتّقون بها من هجمات اعدائهم

ومما يستدلّ عليه من قياسات وموقع خرائب زيمبابوي ومن قطع الخزف والزجاج وآثار العبادة الفلّيّة بها ووجود صورة العُقاب على احد جدران المعبد وكان عند الاشوريين والفينيقيين رمزاً الى عشتروت او الزهرة إلهة المعادن يظهر بلا شك ان اصحاب تلك الآثار شعب من الشعوب السامية ويستدل على تاريخها من هيئة بنائها واعتقادات بُناتها على انها شُيّدت قبل العهد الكوراني (Koranine era) اعني العصور السابقة للجيل السادس قبل المسيح

واما هندسة الخرائب في زيمبابوي فانها تشبه غاية الشبه الخرائب والآثار الموجودة حتى ايامنا في سورية حيث احاطت الحصون بالمعابد ومما يُظن لا بل يرجَّح على ان المهندسين كانوا من سبأ على شاطئ جزيرة العرب الجنوبي والمشهور عن اهلها انهم حاوا الرحلات الزاهرة الطويلة في المحيط الهندي قبل عهد الملك سليمان وبعده وقد تبيَّن

من بعض الاساطين وغيرها من الادوات المستخرجة من حفائر هذه الخرائب حديثًا على ان الذهب كان يُسبك على النار ويُمحص محصاً محكماً في تلك القاعات المصنوعة لهذه الغاية . وقد يُستدل من تمداد طبقات شذرات الخزف المكسور وغيرها التي تغطي وجه ارض تلك الاماكن على ان شعوبًا كثيرة اخذت من سالفيها هذه المهنة واشتغلت في تلك المحلات . ومما يدل ايضاً على ان المشتغلين في تلك الحرفة كانوا اجانب غير وطنيين ما يغلب من الخوف الشديد على قلوب الزنوج واهالي البلاد الاصليين حين اقترابهم من تلك الاماكن اذ يظنونها مسكونة بالارواح وقد وُجد هناك كمية وافرة من انواع الادلية والحبال المصنوعة من قشر الشجر والقُنَّب مطمورة تحت الردم بحالة صالحة جيدة

ولم يستخرج ويعالج الذهب في بلاد المشونالند وحدها بل كانت توجد معامل لسبكه في شمالي الترنسفال ايضاً كما تبينه الآثار المكتشفة حديثًا في بلاد ناماكوالند (Namaqualand) وهي اثار قديمة جداً

ولما انقرضت مملكة سبا وخسر السابيون بزوالها السيادة البحرية وامتلكتها من بعدهم رحالة العرب القدماء المتدة شواطىء بلادهم على سائر جهات البحر الهندي بقيت المواصلات بين بلاد المشونالند وبين بلادهم وبين الثغور الافريقية التي كانوا يؤمنها متوالية مدة عدة اجيال ولم تزل بعدئذٍ معروفة عند عرب الجزيرة واهل الهند

ولما دار البرتوغاليون دورتهم المشهورة حول راس الرجاء سنة ١٥٠٠ مسيحية وجدوا مستعمرة عربية قائمة على الشواطىء الواقعة بين صوفالا وشمالي بلاد الزنجبار

ومما وجدوه مؤخرًا في محل يدعى مومبي (Mombi) على مسافة ستين ميلًا شرقي بولوايو (Bulowayo) حيث تكثر الخرائب والآثار مدفعان برتوغاليان احدهما نحاس والآخر حديد فالاول ذو فتيل والثاني يُحشى من فوهته وقد وُجد ايضًا في جملة آثار اخرى ختم احد الرهبان اليسوعيين الخصوصي مع مبخرة وبعض الحلي الكهنوتية الخ

وقد زار افريقية الجنوبية العالم الالماني والجيولوجي الشهير ليوبلد فون بوخ (L. v. Buch) سنة ١٨٤٥ وقال انه استدلَّ بعدَّة دلائل على وفرة الذهب في حقولها ولم تطل المدَّة حتى شاع انه اكتشف قليلًا من هذا المعدن قرب جوهنسبورغ الحالية سنة ١٨٥٤ ولكن على ما يُقال خشي البوير حينئذٍ عاقبة هذا الاكتشاف

على استقلالهم اذ كانوا تولوا تلك الناحية منذ زمن قريب فاقاموا الحواجز في وجه طالبي الذهب وطمسوا آثاره

وقد جاب السائح الالماني والمدني الشهير كارل مورخ شمالي الترنسفال ووصف البلاد الواقعة بين نهري اللمبوبو والرميغ سنة ١٨٦٥ ومما قال في رحلته انهُ توجد دلائل باهرة على وجود معادن ذهبية غنيَّة للغاية في الترنسفال وفي بلاد الماتبيلي كما انهُ قال ايضاً ان مقاطعة مالماني (Malmani) في جنوبي افريقية هي اغنى مقاطعة بالمعادن الذهبيَّة لكن زعمهُ هذا الاخير لم يثبت فعلاً. وقد باشر قومٌ بتعدين احد المعادن التي اكتشفها هذا السائح سنة ١٨٦٦ واسمها حقل ذهب التاتي (Tati) لكن النتيجة لم توافق آمال اصحابها

وفي سنة ١٨٧٢ اخذ البعض بتعدين معدن ذهبي موقعهُ الى الشمال الغربي من بلدة ليدنبرغ في مزرعة ارستلين (Ersteling) فاتى عملهم بنتائج حسنة

وفي السنة ذاتها اكتُشف الذهب التبري النهري (Alluvial gold) في مقاطعة كوماتي (Komati) قرب حدود البرتوغاليين الشرقية وفي سنة ١٨٧٥ اكتُشف ذهب مثلهُ في محلّ يقال لهُ دي كاب فالي (De Kaap Valley) ولكن اشغال التعدين لم يُباشر بها الا في سنة ١٨٨٢ فجاءت موافقة للمرغوب

وفي سنة ١٨٨٤ اعلنت الحكومة في جريدتها الرسمية بان دي كاب فالي تحتوي على شذور التبر وفتحتها لمن اراد التعدين بها على شرط ان يأخذ الاجازة من الحكومة ويدفع قسطاً زهيداً من المال. ثم مهدت الى الكشافين ان ينظروا أيجدون آثار الذهب في غير مقاطعات

وفي سنة ١٨٨٦ اكتشف على القلع الذهبي الشهور المدعو شبا (Sheba) فاخذ اذ ذاك الطمع في الذهب ومحبة المكسب تدبُّ في عروق من يسمع خبر هذه الاكتشافات واخذت الناس تتوارد زرافات زرافات من جميع انحاء المعمور الى محل التعدين قرب بلدة باربرتون (Barbarton) الى ان بلغ سكان تلك البلدة بعد سنة واحدة ٨٠٠٠ نفس ولكنهم صادفوا في وجههم من العوائق ما لا تحصى انواعها نظراً لوعورة المسالك وقلة الطرق وعدم وجود السكك الحديدية والامراض والحميات الخ ولم تقف المصائب عند هذا الحد بل ان الشركات الاحتيالية التي تألفت على الفور اصاب معظمها

بل قل كلها الإفلاس فكانت هذه المصيبة الثانية قاضية على ارباب التعدين فأحبطت مساعيهم وايأستهم من النجاح

وحينئذٍ اخذ الناس المجتمعون في باربرتون وكان اكثرهم خبيرين بالتربة الذهبية واكتشافها وتعدينها يتفرقون في اكثر انحاء الترنسفال واكثرهم قدموا الى ضواحي الرند اذ سمعوا بخبر اكتشاف الذهب فيه

وكانت الرند حينئذٍ خاوية خالية ليس يسمع فيها ألّا صوت ابن آوى ونعاب الغراب وكان قد قدمها سنة ١٨٨٤ المستر فرد ستروبون (F. Strobbon) وتوصل مع رهطهِ بعد جهد النفس والتعب المفرط الى اكتشاف منجم الذهب الشهير الان باسم بوكت روف (Bauket Ruf) واخذ يعدنهُ على قدر استطاعتهِ لقلة الوسائط لديه وفي سنة ١٨٨٥ اقام فوقهُ طاحونة ذهب صغيرة ذات اربع مطارق تطحن الحجارة المحتوية على الذهب الدقيق. وفي سنة ١٨٨٦ اعلنت الحكومة ان وادي الرند مفتوح للتعدين فاخذت الجماهير تتقاطر اليه

ثم اخذت الاكتشافات تتوالى وبعضها مما ليس لهُ اهميَّة كبرى ففي سنة ١٨٨٥ اكتشف الذهب في سوازي لند (Swaziland) وقبل حلول سنة ١٨٨٧ اكتشف في كينسنا (Knysna) وبوتشفستروم (Potchefstroom) وكلركسدورب (Klerksdorp) وفي هضاب الزوتبنسبرغ (Zoutpansberg) وفي بلاد الزولو وسنة ١٨٨٩ في بلاد دامارالند (Damaraland) وفي سنة ١٨٦٠ في مقاطعة لورنزو ماركس (Laurenzo Marquez) وفي مقاطعة برنس البرت وفي ناماكوالند (Namaqualand) وسنة ١٨٦٣ في مقاطعة كرادوك (Qradoch) وفي باركلي وست (Barkley W^{st}) وسنة ١٨٦٥ في جنوبي مقاطعة كبلي وفي مقاطعة هيدلبرغ (Heidelberg) في الترنسفال

وقد هيجت الاعمال المعدنية الناجحة في بلاد المتابيلي والمشونالند طمع المتمولين وطلّاب الذهب لكثرة انتشارها في تلك الجهات حتى انَّ الحكومة الانكليزية نفسها طمعت بها رجاء ان توازي بغنى معادنها البلاد الترنسفالية ولذا عقدت تلك الدولة بجهودها وبالت ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٨ معاهدات مع ملك المتابيلي الدعو لوبنكولا (Lobengula)

بها يتعهد انه لا يعقد ادنى معاهدة مع احدى الدول الاجنبيّة سوى بريطانيا العظمى واصبحت بلاده بهذه الواسطة تحت حماية الانكليز . فتألفت الشركات وأُرسل قوم من الروّاد والمهندسين الى بلاد لوبنكولا حيث نالوا الامتيازات الجمة وسنة ١٨٨٩ نالت الشركة البريطانيــة لاواسط افريقية امتيازاً من دولتها يخوّلها حقوق التعدين

وفي سنة ١٨٩٠ شيد بعض افراد هذه الشركة معقل سالسبري للدفاع عن انفسهم من تلك الامم المتوحشة القاطنة هناك وردّ غاراتهم ولما استتبّ لهم الامن اخذوا يتجوّلون في تلك السهول والاوعار طلباً للذهب

لا يتمّ وصفنا لتعدين الذهب في جنوبي افريقية ما لم نقل كلمة وجيزة عن الذهب النهري (Alluvial gold) المستخرج منها فنقول ان اغنى سهل بالذهب النهري في جنوبي افريقية هو بلا شك السهل الواقع في مقاطعة ليدنبرغ (Lydenburg) في الترنسفال حيث وُجدت قطعٌ ذهبيّة (Nugget) يوازي وزن الواحدة منها عدة ليرات ولكن معظم تلك الاملاك الآن في يد الشركات ولم يبقَ منهُ بلا تعدين الّا النزر القليل

ومما يحسن بنا ذكره هنا هو ان تربة الذهب النهري في جنوبي افريقية تختلف نوعاً ما عن تربة الذهب النهري الموجود في المعمور ففي افريقيــة الجنوبية لا توجد معادن الذهب النهري الّا في الاماكن المرتفعة التي لم تجرفها السيول واما في اوستراليا وغيرها فلا يوجد الذهب فيها الّا في الاودية وضمن مجاري الانهر او في التربة الراسخة حديثاً

واما مروج الذهب النهري في كنيسنا (Knysna) وبرنس ألبرت فلم تأتِ بنتيجة تُذكر واما اراضي القومبانيّة المتوكانية في روديسيا المذكورة آنفاً فان المكتشفين زعموا بانها غنيّــة بمناجم الذهب وليس لقولهم سندٌ متين اذ ان الذهب النهري الذي وجد بها عدنهُ الاقدمون واستنفدتهُ اجيال القرون الوسطى وقد فتحت القومبانية المذكورة معدن « مازوي » على سبيل التجربة ولسهولة النجاح به اذ يمكن المعدّن بضربة معول ان يقتني لطول حياته لكن هذه الامتحانات لم تُصب المرمى في جنوبي افريقية حتى ان المشتغل بها في هذه القارّة لم يتوصل بما يستخرجه من الذهب الى تسديد نفقة اشغاله اكثر المرّات

٢ جيولوجية مقاطعة الرند

لمادن الذهب الرنديّة قصب السبق على سواها من معادن الذهب في افريقيا الجنوبيّة لا بل في المعمور بأسره لوفرة غناها وسعة ثروتها والاقبال على تعدينها ولذا نخصّ بها المقام الاول في ذكرنا لمادن افريقيا الجنوبيّة مقتطفين اهمّ الحوادث والاحصاءات عن تقارير غرفة المعادن في جوهنسبورغ وتبليغات دائرة المعادن الخاصة بالحكومة. ويجب قبل وصفنا لتلك المعادن ان نقدّم عليها لمحة وجيزة لمعرّف تركيب تربتها وترتيب طبقات ارضها مستندين بذلك الى ائمة الجيولوجيين واشهر العارفين فنقول:

ان الطبقة السفلى الصخريّة في جنوبي افريقيا هي من نوع الحجر المحبب (granit) ولكنه كثيرًا ما تنفذ من هذه الطبقة نواجذ عديدة تخترق غيرها من الطبقات الارضية الحديثة فتظهر احيانًا على سطح الارض واهمّ هذه النواجذ هي المساحة الممتدة بين نهري الفال (Val) واللمبوبو وهي التي على منعطفها الجنوبي قائمة بلدة جوهنسبورغ البالغة ٥٧٠٠ قدم فوق سطح البحر واما الطبقة الارضية المحتوية للذهب في مقاطعة الرند فان المياه الكائنة فوق سطح الطبقة الصخريّة المحيّة جرفتها الى هناك اذ كانت هذه الطبقة الصخريّة أفقية الشكل قديمًا واما هذه التربة التبريّة والاراضي المجروفة الى هناك فهي طبقة رملية مختلطة بحجارة كلسية وهي مختلفة السمك والهيئة ولا يعلم من اين اتت ففي هذه الطبقة توجد طبقات التبر « كالورق المكبوس » مختلطة بنوع من الجصّ والحديد وكرات الرمال المبلورة

فبعد حلول تلك التربة على سطح الطبقة السفلى الصخريّة وتراكم عدة الاف من الاقدام فوقها حدث انقلاب في جوف الارض وانفجار رفع تلك الطبقات الافقية الى شكل هرَمي ذي زوايا عديدة وقد قذف جوف الارض كذلك عدة حجار بركانيــة على وجه الارض من الفوهات العديدة مع حمم بركانية كثيفة غطت وجه القشرة الارضية

واما الطبقة السفلى الصخريّة المحيّة فحين ارتفاعها كما ذكرنا آنفًا رفعت فوقها الطبقة الرملية الكلسيّة التي فيها الذهب كما ذكرنا ونظرًا لكثرة الضغط والحرارة وبدلًا من ان تبقى على حالتها الافقية اصبحت كما ترى الآن بهيئة هرمية الشكل

فخط هذه النتوءات المسننة يمتد بشكل ترتيب من الشرق الى الغرب على مسافة ستين ميلًا وهو ينحني قليلًا عند طرفيه لكن اكثر اعوجاجه يميل الى جهة الجنوب وهو الخط الذي يسميه العلماء وادي الرند

ثم انهُ بعد مرور ذلك الانفجار العظيم اخذ سطح الطبقة التبريَّة المذكورة يكتسي بالنبات (وهو الآن المتحول الى فحم الحجري والذي يُكتشف بعض الاحيان مع الذهب) وكذلك كثرت فيهِ الحيوانات الصدفيَّة والمتحجرات كما ترى في تلك المناجم ثم انهُ بعد زمن اهبطةُ للطبقات المذكورة ارتفاعٌ ثانٍ جرى بسببهِ تغيير الهيئة القديمة التي احدثها الانقلاب الاول وبسبب هذا الارتفاع تعرَّت الطبقة المرتفعة الصخريَّة للعيان وانقلبت هيئتها تمامًا

واما الآن فان الطبقات الارضية التي يجري التعدين فيها فهي فوق المقلع الاصلي (Main Reef) وهي منقسمة الى اربعة او خمسة فروع واهمها « المقلع الاصلي » و« المقلع الجنوبي » (South Reef) الذي يختلف سمكهُ من خمسة ابهام الى ستة اقدام واما الاصلي ذاتهُ فطبقته التبريَّة ضخمة في جوف الارض وغنية جدًا لكن اكثر نظرًا لعمقه في قاع الارض لم يتمكنوا من تعدينه كما يجب

وقد تُوجد مواضع كثيرة بين كروكدورب وهيدلبرغ حيث اطراف الطبقة السفلى الصخريَّة المتكسرة بارزة للعيان وكان التعدين هناك سهلًا ووافر الارباح ولكن اطراف هذه الطبقات السفلى قد غطتها التربة الحديثة او جُرفت الى محل آخر من جرَّاء تلك الانفجارات الارضية البركانية التي حدثت في جوف الارض

٣ تعديل غنى المعادن الرندية

ان من اراد تعديل غنى المعادن الترنسفالية ومدة تشغيلها الممكنة لا بد لهُ ان يلحظ كل الاحوال المنوطة بهذا الموضوع ومع ذلك فلا يتوصل الَّا الى نتيجة حدس وتخمين وأمَّا اهمُّ هذه القياسات التي يجب ان تبنى عليها الحسابات فهي زاوية الانحدار التي يتبعها العرق الذهبي فان بها تتعلق وفرة تشغيل المعادن

وهذه زاوية الانحدار اذا كانت على مقربة من سطح الارض توازي سبعين درجة انحدارًا او اكثر في بعض المواضع لكن تعديل هذه الزاوية على طول آلاف اقدام من العروق الذهبية لا يزيد عن الست وعشرين درجة انحدارًا ومع ذلك فان هذا الانحدار

لو دام على الدرجة المذكورة لتعذَّر عمًا قليل تعدين المعادن لكثرة الضغط والحرارة في قلب الارض لكنهُ يخفُّ قليلًا قليلًا بنسبة العمق . ومما يثبت هذا الظن هو انهُ عند حفر الفوهة العظيمة المدعوة بفوهة فيكتوريا الى جنوب وادي الرند وقد بلغ عمقها ٤١٠٠ قدم ظهر للعيان ان العروق الذهبية ليست مداومة الانحناء كما غلب الظن وقد جرى هذا الامتحان في عدة محلات على هذا النمط وكانت النتيجة واحدة وقد ثبت ايضاً وتقرر ان عرض العرق الذهبي في ذلك العمق يبلغ اربعة اقدام وبعد الامتحان ظهر ان الطن الواحد منهُ يعطي اوقية وثلاثة ارباع من الذهب واما العرق الذهبي المعروف « بالاصلي » فانهُ اعطى في بعض محلات عشر اواق في كل طن من التربة

ومما يزيد الثقة في غنى معادن الرند الذهبية هو انهُ لما حُفرت فوهة ترفونتين (Turffentein) في تموز سنة ١٩٠١ بلغ عمقها من ٤٨٠٢ الى ٨٥٦٥ قدماً من ابتداء العرق الذهبي على وجه الارض . واما اعمق فوهة حُفرت فهي الى الجنوب الشرقي من جوهنسبورغ وقد بلغ عمقها ٥٥٠٠ قدم وذلك سنة ١٩٠٥

ومما تقرَّر بعد الاختبارات الحديثة ان الحرارة الداخلية في جوف الارض تزيد بالتدريج نظرًا للعمق وفي السراديب التي يبلغ عمقها ٨٠٠٠ قدم لا تزيد على ١٠٠ درجة (فاهرنهيت) . ومما يؤخذ كذلك من الاختبار ان السراديب العميقة هي عادةً انشف هواء من غيرها ولا يُخشى وجود الماء فيها واما الذهب فيوجد ممتزجاً بالتربة وهو في غاية النعومة حتى انهُ لا يظهر للبصر ولو في اغنى تربة

وقال المستر تيودور ريونرت (H. Reunert) سنة ١٩٠٤ وذلك بعد ان بنى حسابه على طول العرق الذهبي الى ثلاثين ميلًا واستطاعة تعدينهِ على مسافة ميل واحد فقط انحدارًا وتعديل سمكهِ الى خمسة اقدام وحصول ثلث الأوقية من كل طن واحد من التربة ان الذهب الكائن في ارض الرند يعادل ٤٥٠،٠٠٠،٠٠٠ ليرة انكليزية

ثم انهُ سنة ١٨٩٥ عدَّل الخواجات هتش وشلمر (Hatch and Chalmer) انهُ من بعد تشغيل المعادن مع كل عروقها تقدَّر قيمتها بـ ٧٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ليرة

ولكن اذا قدَّرنا ان طول العروق الذهبية خمسون ميلًا بسمكٍ طولهُ خمسة اقدام وانحدار ميل واحد بمعدل الذهب بالطن الواحد على محصول سنة ١٨٩٨ فتناهز قيمة

الرند نحواً من ١,٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ اعني ستة اضعاف الذهب المستخرج من كاليفورنيا بين سنتي ١٨٤٩ و١٨٦٣

وقد اكَّد المستر ليونل فيلبس في الوليمة الافريقية التي اقيمت في لندن في تموز سنة ١٩٠٦ انهُ لقد ثبت بان العروق الذهبية تبلغ مسافة ٦١ ميلاً وربع الميل واذا افترض انَّ هذه العروق تنتهي بمسافة لاربعة الاف قدم فتكون مساحتها توازي ٤٠٢٠٠ فرضة (claim). فمن هذه القيمة كلها لم يعدَّن ليوم تاريخهِ الّا ٢/٣ بالماية اعني بما قيمتهُ ٦٥,٦٦٦ ليرة لكل فرضة فتكون قيمة الذهب الموجود في الرند ابتذر ٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠

وقد قال المستر ج.ا. دني (G. A. Denny) في كتابهِ «معادن الطبقات السفلى في الرند» انهُ كان يطحن شهريًا في سنة ١٩٠٦ ١,٦٨٨,٤١٥ طنًا من التربة الحاملة الذهب وهي تعطي ٥٤١,١٣٦ اوقية من الذهب الدقيق الخالص و١١٨,٨٩٠ طنًا من الذهب الممتزج بالتراب والذي يمكن ان يستخرج منهُ ما يوازي ٢٤٠,٥١٩ اوقية من الذهب الخالص و٢١٠,٠٠٠ طن من غسيل الذهب تعطي ٢١,١٠٥ اواق من الذهب الخالص فيكون المجموع ٨١٢,٧٥٦ اوقية من الذهب الخالص توازي قيمتها ٣,٤٥٠,٨٢٨ ليرة استرلينية بتعديل استخراج ٤٠ شلينًا وثلاثة ارباع من كل طن مطحون

وهذه الارقام التي اعتنى بضبطها والتدقيق فيها المؤلف هي قريبة جدًّا للصواب وتُعتبَر كحجة وقد زاد محصول الرند زيادة عجيبة بين سنتي ١٨٨٧ و١٨٨٩ وذلك لوفرة عدد المطارق المشتغلة في الرند وسهولة التعدين في الطبقة العليا وطحنها. وفي هذه المدة كذلك كثرت المضاربات في سوق بورصات لندن وباريس وبرلين بمحصولات الرند الى حد الجنون

واماً من سنة ١٨٨٦ الى ١٨٩٠ فان ردة الفعل وضيقة الحال في جوهنسبورغ والاحتياج الى ادوات من الطرز الجديد والى طلبات (مضخات) واحجام المتمولين عن الاقدام على المشاريع العظيمة جعلت الزيادة قليلة بالنسبة الى ما قبل

ولكن لم يطل الامن والامل ان رجعا الى النفوس وتيسر النجاح لقدوم الآلات الجديدة ورخص الفحم فزاد محصول الترنسفال سنة ١٨٩١ ١٨ في الماية وسنة ١٨٩٢

٦٦ في المائة وكان قد ظهر لاعين الجميع اهمية هذه المعادن وثباتها ونجاح اكثر مشاريها وخصوصاً المعادن الكبيرة وقد زاد محصول الذهب المستخرج منها بمعالجتها بالطريقة المعروفة بالكلورين (Chlorine) التي استُبدلت بطريقة أيسر منها وهي طريقة السياند (Cyanide) فزادت بذلك سنة ١٩٨٣ ٢٢,٢ بالمائة بمحصولاتها و٣٦٫٥ ٪ بارباحها واما سنة ١٨٩٥ فانها زادت على سنة ١٨٩٣ ٥٤ بالمائة بمحصولها وتقريباً ١٠٠ بالمائة بارباحها

وفي سنة ١٨٩٨ لم تبقَ شركة واحدة في الترنسفال وخصوصاً في الرند الّا زادت ثروتها حتى ارجعت راس مالها وفرّقت على حاملي اسهمها الارباح الطائلة الفائضة عن احتياجاتها. ثم خمدت تلك الحركة في السنة ١٨٩٩ التي أُشهرت بها الحرب بين الترنسفال والانكليز وضُبطت من المعادن بامر الحكومة الترنسفالية مقادير من التبر توازي ١,٩٥٢,٧١١ ليرة

وفي اذار سنة ١٩٠١ اذنت القوة العسكريّة الامبراطوريّة المحتلة وقتئذٍ لبعض القومبانيات ان ترجع الى تشغيل المعادن وقد بلغ عدد المطارق الطاحنة الذهب في كانون الثاني سنة ١٩٠١ ٦٥٣ وفي نيسان سنة ١٩٠٢ ١٦٣٥ وكان محصول الرند في هذه السنة ١,٦٩٠,١٠١ اوقية من الذهب الدقيق لستخرجها ٤٥ معدناً مع شغل ٢٩٧٠ مطرقة وقد فرقت في السنة ذاتها ٢٣ قومبانية ارباحاً على حاملي اسهمها تبلغ ٢,٢٤٨,٧١٥ جنيه وقد سهلت الطرائق العلمية باستخراج الذهب مشاكل عديدة واسقطت نفقات الطن الواحد من التربة المعدنية الى ٢٥ شلناً

وسنة ١٩٠٣ اكتُشف على العرق الذهبي المعروف باسم «عرق التتويج» (Coronation Reef) المتد خمسين ميلاً جنوبي جوهنسبورغ الى شرقي بلدة هيدلبرغ وسنة ١٩٠٤ كان محصول اثنتين وستين قومبانية تشغل ٥٦٧٠ مطرقة لطحن الذهب ٣,٦٥٨,٢٤١ اوقية من الذهب الدقيق فكان معدل محصول المطرقة ما يناهز خمسة طنات في اليوم الواحد وكان مجموع ارباح ٣٣ قومبانية ٣,٨٥٥,٣١٤ ليرة وكان عدد المعدنين وقتئذٍ اعني في ٣١ آب سنة ١٩٠٤ ١٤,١٧٣ ابيض و١٧٧,٠١٤ زنجياً و٢٠,٣٩٦ صينياً و٢,٣٢٣ هندياً وقوماً سمراً من مستعمرة الكاب

ثم بلغ في سنة ١٩٠٥ عدد شركات التعدين ٦٨ ذات ٧١٩٩ مطرقة طاحنة

وكان محصولها ٤,٧٠٦,٤٨٣ اوقية من الذهب الخالص قيمتها ١٩,٩٩١,٦٥٨ جنيه وقد دفعت القومبانيات ارباحاً الى حاملي اسهمها تُقدَّر بـ ٤,٨٣٢,٤٣٦ جنيه واما عدد المشتغلين في غرة كانون الثاني سنة ١٩٠٦ فكان ١٦,٣٥٥ ابيض و٨١,٠٧٨ زنجياً و١,١١٨ اسمر من مستعمرة الكاب و٤٨٨ هندياً و٤٦,٥١٠ صينياً

٨ استخراج الذهب

عُرفت طرائق جمة لاستخراج الذهب وطحن «الكوارتس» منذ قديم الاجيال لا نذكرها هنا خوفاً من الملل ولكن الطرائق الجديدة هي اقل نفقةً واسهل منالاً من غيرها مع انها لتاريخ هذه الساعة لم تبلغ المنتهى بالتحسين

واما الطريقة المستعملة في الرند فهي على هذا النمط :

تُستخرَج التربة المختلطة بالذهب من الانفاق العديدة بواسطة الغام الديناميت والجلاطين والمعاول والمجارف ثم تُطرح في عربات حديدية معدَّة لاستقبالها وسائكات على سكك حديدية وهي والحالة هذه على جميع الهيئات والاشكال وتُجلب الى قاعة كبيرة حيث تُكسر كتلها الى حجم يقارب الجوزة ثم تنقَّى على طاولات دائرة بواسطة الات مخصوصة وهناك ترى الوفاً من العملة المختصين بهذا الشغل فالحجارة التي لا نفع منها تلقى خارجاً واما الحجارة الحاملة الذهب فتمر تحت مطارق المطحنة التي تشبه كل الشبه مطاحن كالفورنيا حيث تُطحن هذه الحجارة طحناً دقيقاً للغاية

واما مطحنة الذهب فهي مؤلفة من عدة اجران حديديَّة كبيرة ومطارق على شبه الاجران مستطيلة الشكل وفي الغالب يكون وزن المطرقة الواحدة الف ليبرة وهي التي تطحن التربة الحاملة الذهب كما ذكرنا . وفي الرند تستعمل الطريقة الرطبة فان التربة عند طحنها يقذفها جدول من المياه الى «منخل» عدد ثقوب الانش المربع منهُ ١٢٠٠ ثقب على طاولات من النحاس المطليّ بالفضة والزئبق فتستخرج كمية وافرة من الذهب المتدفق على هذه الطاولات ومنها يجري في قساطيل الى براميل كبيرة جداً اشبه منها بستنقعات بها محلول سيانيد البوطاس (cyanide de Potassium) فيحصل بهذه الواسطة على اكثر الذهب الباقي في التربة اذ الذهب يذوب في السيانيد واذا توفَّرت الكمية على تلك الطاولات المذكورة يقشر عنها الذهب ممزوجاً

بالزئبق ثم يُفرز عن الزئبق بالحرارة ويُصنع الذهب قوالب ويُرسل الى اوربا حيث يباع هناك

وما استفدنا حديثاً ان طريقة التعدين المذكورة انما ستُبدل بادخال المطحنة المدعوة بمطحنة « الاسطوانة » (Tube - Mill) بان يجري الطحن بمنخل اوسع ثقوباً ثم ان القطع الصخريَّة الكبيرة تطحن في هذه المطحنة فبعد ان يمر دقيق الحجارة والذهب على الواح نحاسية مكهربة يصير اهتزازها قليلاً بهزة ترتيبية في محلول السيانيد . وما يقال ان هذه الطريقة تزيد محصول الذهب ٥ بالمئة فضلاً عن اقتصاد عظيم في ثمن الادوات المتخذة لذلك

٥ زيارتي لاحد معادن الرند الذهبية

لا شيء يستلفت النظر في موقع معادن الذهب الرنديَّة التي هي اهم معادن المعمور. فلا ترى امامك الا كثباناً بيضاء من الحجارة المطحونة طحناً دقيقاً والتي ترتفع كل يوم في الفضاء بما تقذفه فوقها المجلات المتعددة من الحجارة التبريَّة المطحونة. ولعمري ان هذه الجبال الاصطناعية تذكر الانسان بتلك الاعمال العظيمة وتلك الكهوف الهائلة التي حفرتها يد الانسان في امعاء الارض لغاية الحصول على الذهب الوهَّاج. وبعد ان تقدمنا قليلاً رأينا امامنا منتصبة بملوٍ هائل تلك المداخن العظيمة التي تداوم قذف الدخان الكثيف من فوهاتها العديدة وسمعنا للحال دوياً عظيماً متواصلاً كصوت مرور السكك الحديديَّة بالقرب منا فسألنا عنه فقيل ان هذا صوت المطارق المتعددة الطاحنة للتربة الذهبيَّة

ولما دخلنا ارض المعدن استلفتت انظارنا لاول وهلة قطع الحديد والماكنات المتحطمة الملقاة في جوانبها ورأينا عجلات الحديد الصغيرة تسري فيُسمع لاحتكاكها دويٌّ عظيم وزاد في آذاننا دوي البطاريات فتقدمنا بين تلك الدواليب المتحطمة والحبال البالية والقساطل المصدية وبعض الآلات المطروحة فلم نرَ امامنا الا بيوتاً كبيرة مبنية من الخشب والحديد ضمنها الآلات المتحركة ورأينا زنوجاً لا يحصى عددهم سائرين من كل الجهات ورأينا كذلك قوماً من البيض بملابسهم الشمعية مستعدين للهبوط الى اعماق عدة الاف من الاقدام لاستخراج التبر اذ رأينا غيرهم صاعدين من تحت

الارض اثوابهم ملطخة بالوحول والزيوت وعلى وجوههم علامات الاصفرار وفي ايديهم شموع ذاب اكثرها ومما ظهر لنا من سحنتهم انهم بحالة الضنك والتعب

واذ كنا نود ان نعرف كيف يُعالج الذهب في كل اطواره عزمنا على الهبوط الى بطن الارض حيث تُستخرج التربة الحاملة الذهب فقادنا الدليل الى بيت واطئ الجدران قرب الفوهة التي كان ينبغي لنا الهبوط فيها وهناك ارتدينا بشمعات طويلة لتمنع عنا الرطوبة والمياه ولبسنا في ارجلنا احذية ضخمة لتقينا الوحول وأعطي كلُّ واحد منا ستة شموع فوضعناها في جيوبنا واقتربنا من الفوهة التي أشرفنا على النزول فيها فلما أطللنا عليها رأيناها قاعاً بلا قعر ينبعث منها رائحة تربة متعفنة مع بخارات كادت تعمي علينا واذا « بالقفص » صاعد ينضح المياه من جميع جوانبه يسحبه حبل فولاذي طويل جداً فهذا الحبل يدور على دولاب مركب على صقالة فوق الفوهة ومن اعلى بكرة عظيمة تديرها قوة البخار بالهبوط والصعود

وما لبثنا هنيهة حتى سمعنا طرق جرس كهربائي فوق رأسنا يدق ثلاث دقات متوالية وكان الوكيل الواقف على الفوهة ضغط زرًّا كهربائيًا في الغرفة الموازية ليطلب لنا الرخصة في النزول فاتاه الجواب بثلاث طرقات اي بالايجاب. فتُتحت ابواب القفص ودخلناه ثم اغلقت الابواب وأقفلت بقطعة من الحديد حتى لا يمكنها الانفتاح حينما القفص يأخذ في الهبوط واذا بالجرس الكهربائي يرنُّ ثانية وحينئذٍ اخذ القفص بالهبوط فينا في اعماق الارض وتحوَّل النور الى ظلام حالك وكنا نسمع والحالة هذه صوتاً اشبه منهُ بخرير المياه حين هبوطها في الوادي وكنا نعتقد انا عن قريب نهبط في وسط بركة من المياه فسألنا عن هذه المياه اين تصبُّ فقيل لنا ان هذا الصوت ليس صوت مياه بل صوت مرور دواليب القفص على قضبان الحديد الرطبة فيُسمع له هذا الصوت. وللحال رأينا ان نورا برق من ورائنا فعلمنا ان هذا احد السراديب العليا من المعدن وعلمنا ايضاً ان القفص يهبط بسرعة ٥٠ ميلًا بالساعة ولم يكد ينتهي تعجبنا من هذه الحالة حتى وقف القفص بنا امام سرداب طويل منار بالكهرباء نوراً يبهر الانظار ففتحت ابواب القفص وأعانتا على الخروج رجل مرتدٍ بشمع طويل

(التتمة لعدد آخر)

التماثيل والدُّمى في العبادة المسيحية

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ

انّ التمثال الجليل الذي نُصب حديثاً على مشارف لبنان لإكرام العذراء الطاهرة يحدو بنا الى وضع مقالة موجزة في توقير المسيحيين للمنحوتات التقويّة التي تمثّل الابرار او اسرار الدين وليس ذلك فقط في الكنائس الغربيّة ولكن في بيع الشرق على اختلاف طقوسها ومنذ القرون الاولى للنصرانيّة فانّ في بيان الامر فائدةً تاريخيّة لا تُنكر فضلاً عن انّها تُفحم بالدَّلائل الراهنة بعض الذين يرون في مثل هذه العبادة غلوًّا وافراطاً بل كادوا يعدّونهُ بدعة كما كتب احد المتجوّلين في غربي اوربّا اذ دخل كنائسها فرأى فيها التماثيل الدينيّة فكتب سامحهُ الله (اطلب الشرق ٤: ٧٦٢ — ٧٦٥):

وقد أدهشني ما رأيتُهُ في الكنائس التي زُرتها في فرنسة كثرة المنحوتات والتماثيل حتى خُيّل لي انّ مساجد المسيحيين أصبحت اكثر قربًا لهيا كل ديانا وآمون. وتذكّرت خلوّ المعابد النصرانيّة البعيدة العهد في كلّ من سوريّا ومصر من كل اثر للتماثيل والانصاب فقلتُ لنفسي وما الذي يا تُرى حبّبها لاهالي الغرب هل ذلك لمحض الزينة او لاعتبار القّنتهم انّ التماثيل مدعاة الى التقوى ومزيد الخشوع للمعبود فاذا كان السبب الاخير فقد اصاب الوثنيّون اذًا فيما كانوا يفعلون ويكون النهي الالهي عن اتخاذ اقل منحوت في غير محلّهِ استغفر الله (ورد هذا بحرفهِ في الصحفة ١٦ من كتاب « سياحة في غربي اوربّا » بقلم نسيم خلاط سنة ١٩٠١)

ففي هذه الاسطر القليلة جمع الكاتب الحجج التي يستند اليها بعض خصوم الدين الكاثوليكيّ لنفي التماثيل وبخس شأنها. فنعقد الامل بانّ القرّاء يجدون في النبذة التالية ما يدحض هذه الشكاوى ويزكّي العبادة المسيحية عن كل تهمة باطلة وقبل أن نتقفّى آثار القرون السالفة وننقل شواهد المؤرخين لا نرى بُدًّا من توطئةٍ نقدّم فيها للقارئ بعض الملحوظات التي تمهّد الطريق لبيان حجتنا فنقول:

اوّلاً انّ الانسان من حيث هو مركّب من نفس وجسد لا يستغني عن الاستعانة بالمحسوسات ليترقّى بها من عالم الكون الهيولي الى عالم الغيب الذي يفوق طور الخالوقات. وليست الغاية من وضع الفنون الجميلة للذّة الحواس فقط بل هي من أقوى الوسائل للترفّع فوق المادة وللتقرّب الى اللاهوت فترى اصحاب كل الديانات قد تأنّقوا في

بناء المعابد ووضع الرسوم والنقوش وتطريب المسامع بالالحان الموسيقية والاصوات الشجية مما يعظّم المعبود في القلوب ويجرّ الافكار عن الصور الهيولية الى استجلاء مجالي الحق سبحانه وتعالى وراء سجوف هذا العالم المحسوس

ثانياً ولا يخفى ان بين الفنون الجميلة فنّين بديعين يجد فيهما المرء صور المخلوقات بشبهٍ ادقّ وتأثيرٍ اعظم في النفوس اذ يكادان يُحييان في اعيننا عالم الغيب ويمثلان كل عواطف الغابرين بحيث يظنّ الناظر الى آثارهما انه يعيش في صحبة الاحباب الذين انفصلوا عنه . ألا وهما فنّا التصوير ونقش المنحوتات . وليس من ينكر صلاح هذين الفنّين (اللهمّ اذا رُوعيت اصولهما واستُوفيت شروطهما) لرسم التصاوير التقويّة وتمثيل الصور العقليّة على شكل محسوس ما لم ينهَ عنها نهيٌ لأسباب صوابيّة

ثالثاً ولسنا نجهل ان العقل البشريّ لضعفه معرّض في بعض الاحايين الى التورّط في العبادة فينسب الى المحسوسات قوّات خفيّة تخرجها من طورها التمثيليّ الى رتبة الحقيقة فيقيم تلك الصورة او ذلك المنحوت مقام المعبود نفسه وبدلًا من ان ينتقل من الصورة كما في سُلّم الى المصوَّر فيها ليؤدّي له الاكرام الواجب لشخصه تراهُ يجعل تلك الصورة المحسوسة او ذلك التمثال المنحوت كصنمٍ أُفرغت فيه قوّة الهيّة بل اندمج فيه ذلك الشخص البعيد الذي رُسمت صورتهُ . وعلى هذه الطريقة اتّخذ عبَدة الاصنام صورًا محسوسة لأبطالهم وتماثيل لمشاهيرهم ثمّ بالغوا في تعظيمها وتجاوزوا طور الاكرام الى حدّ الشرك فعبدوها عبادتهم للإله الحقيقي الذي لم يرهُ قطُّ بشر

رابعاً ومن المعلوم انّ عبادة الاصنام قبل تاريخ الميلاد اتّسعت نطاقًا حتى كادت تعمّ كل شعوب الارض من ارفعها في معارج التمدّن الى ادناها في المدنيّة ولم ينجُ من خطر الشرك الّا شعب بني اسرائيل وحدهُ وكانت قلّة وتوسّطة بين امم المشركين يعرّضانهِ للتوثّن كما ترى ذلك في اسفار العهد القديم التاريخيّة حيث يؤدّب الله شعبهُ لعبادتهِ لأصنام الامم المجاورة ويضربهُ الضربات الفادحة لشطوطهِ عن خدمة ربّهِ الاعظم ولذلك كان اوّل ما تقدّم الربّ في وصاياهُ الى شعبه أن لا يعبد غيرهُ إلهًا «ولا يصنع له منحوتًا ولا صورة شيءٍ مما في السماء من فوق ولا مما في الارض من اسفل ولا مما في المياه من تحت الارض لا يسجد لهنّ ولا يعبدهنّ» (الخروج ٢٠ : ٤–٥)

فنفى الله جلّ جلالهُ ليس فقط كل التماثيل المنحوتة بل كل صورة ايضاً أيةً كانت تمثل كل المخلوقات

خامساً على انّ امرهُ تعالى لم يتناول تلك التصاوير ليرذلها الأمع احتياطٍ واحتفاظ . فنفاها « خوفاً من السجود لها واتخاذها بمثابة المعبودات » لانهُ قال: لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ . امّا اذا كانت تلك التصاوير او المنحوتات لغير هذه الغاية فتسق بافكارنا عن الارضيّات وتذكّرنا بالسماويّات وتقرّبنا من الله ومن اوليائهِ القديسين فليت شعري أفي ذلك خطرٌ ان يعتبرها المرء كصنم او يعبدها كما يعبد خالقهُ ألا ترى انّ الولد يُكرم صورة والدهِ ويقبّلها كما لو كان ابوهُ حاضراً امامهُ وهو يعلم حق العلم انّ اكرامهُ ليس هو للصورة الهيوليّة بل يرجع لشخص ابيهِ الكريم فأيّ نص من الكتاب المقدس يمكن الناظر ان يستشهد بهِ لنفي مثل هذا الاكرام . ولا حرج في كون الصورة او الدُّمية تمثل احد اولياء الله او الانبياء القديسين فان الاكرام يوافق رتبة المصوَّر دون ان يبلغ مقام الحق سبحانهُ وتعالى علوّاً عظيماً

سادساً والدليل على ان موسى كليم الله لم ينفِ الصور والمنحوتات الّا حسماً للشرك ورعايةً للعبادة الحقيقة بالخالق انّهُ هو نفسهُ لمّا مُني بنو اسرائيل بالحيّات ومات كثيرٌ من نفث سمهنّ اقام في البرّيّة حيّةً من نحاس كانت رمزاً الى صليب الربّ كما صرّح يوحنّا الحبيب في انجيلهِ (٣ : ١٤) . وكذلك لمّا ابتنى بامرهِ تعالى تابوت العهد تقدّم الى صانعيهِ بان يمثّلوا فوقهُ منحوتين من الذهب الخاص وهما كروبان يبسطان فوقهُ اجنحتهما . فقل لي رعاك الله كيف استطاع موسى أنْ يصوِّر هذه التماثيل ويجعلها في اقدس مكان من هيكل الربّ ان كان امرهُ تعالى يعمُّ كل التصاوير على اختلاف غاياتها

سابعاً وزد على ذلك انّ الله عزَّ وجلّ مع كونهِ روحاً مجرّداً عن كل جسم قد تراءى غير مرّةٍ في العهد العتيق للانبياء كاشعيا وحزقيال بزيّ محسوس تارةً كملك مهاب جالس على عرش القضاء وتارةً على شكل شيخ جليل عريق في الأيام وكان الانبياء يخرّون سُجّداً امام تلك الرؤى التي كانت اشباهاً فقط فمن ترى يلوم الانبياء على سجودهم لتلك الاشباه والصور وليست غايتهم من فعلهم الّا السجود للعزّة الالهيّة المتجلّية لهم متشحة بتلك الازياء المحسوسة . وان اراد بعض المصوّرين ان يرسم تلك الاشباه بالالوان ويُدوّنها امّا على الانسجة وامّا على الخشب وامّا بنحتها في الرخام

أيُقال انَّ ذلك الشبه صنمٌ وانَّ الاكرام لتلك الصورة عبادةٌ باطلة اذ المتعبد لما لا يذوي توجيه كرامتِهِ الَّا لذاك الذي ظهر على هذا الشبه لخلوقهِ . وكم بالاحرى يسوغ ذلك لمن يمثّل صورة الاله المتجسد الذي لبس طبيعتنا وعاش بيننا بصفة ابن البشر فان المكرم لتلك الصورة يعلم حق العلم ان اكرامهُ ليس لما تتركّب منهُ الصورة من دهون او نقوش او الوان او مواد نسجيّة او خشبيّة او حجريّة بل يقصد بسجوده واكرامهِ شخص ابن الله نفسهِ الذي امامهُ تجثو كل ركبة في السماء وعلى الارض وفي الجحيم · وقس عليهِ بقيّة الصور والتماثيل

٭

هذه بعض ملحوظات قدَّمناها على اثباتنا لكرامة الصور عند المسيحيين سواء كانت منقوشة فقط او كانت منقورة بالنحت او مسبوكةً في المعامل الصناعيَّة بالذهب او الفضة او الحديد اذ ليس من فرق جوهري بين تلك الاشكال والهيئات المختلفة .
فهلمَّ بنا الآن نتقصَّى شواهد التاريخ المسيحيّ في اكرام التماثيل فنقول : لما انتشرت الدعوة النصرانيَّة في انحاء العالم وانارت بضيائها عقول الوثنيين لم يأنف اصحابها ايضًا أن يتّخذوا في نشرها كل الوسائل الحسنة التي كان من شأنها أن تصرف أنظار المتحيّرين عن مشاهد الوثنيّة ومناسكها الباطلة وتعدل بهم الى التُّقى والصلاح . ومن ذلك اهتمام الكنيسة بان يتنكّب ابناؤها عن التصاوير والدُّمى التي كان الوثنيُّون يوقّرونها في هياكلهم وساحاتهم وشوارعهم وبيوتهم وابرزوها على اشكال شتَّى ليسترقوا افكار الناس ويعظّموها في اعينهم . فتلافيًا لهذا الشرّ المتفاقم سمحت الكنيسة منذ اوَّل النصرانيَّة بعرض الصور التقويَّة على المؤمنين ليكرموها بدلًا من تلك الصور السمجة التي شاعت بين الوثنيين

ولنا على ذلك ادلَّة في بعض التقاليد الراقية الى عهد السيد المسيح ورسلهِ الكرام فانَّها وان لم تكن قاطعةً راهنةً تنبئ مع ذلك بمعتقد المسيحيين الاوَّلين فمنها المنديل الذي كان يُكرَّم في كنيسة الرها وعليهِ صورة الربّ قيل انَّ الله تبارك وتعالى جعل ذلك المنديل على وجهِ الالهي فرسم صورتهُ وارسلها الى الابجر صاحب الرها (١ . ومنها منديل ڤيرونيكة الذي يرقيهِ التقليد الى زمن آلام المسيح اذ مسحت بهِ احدى النساء

١) اطلب مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٢٨٧

وجه المخلّص وهو صاعد الى الجلجلة ينوء تحت صليبه فارتسمت صورتهُ المباركة على منديلها . ومنها ما يُنسب الى القديس لوقا الانجيلي من التصاوير لاسيما صورة العذراء الطاهرة المروفة بهِ والكرّمة منذ اجيال عديدة في رومية العظمى

وبانتشار النصرانيّة على يد تلاميذ السيد المسيح وارباب الدين المسيحيّ انتشر ايضاً اكرام الصور . وناهيك بما وجد منها في دياميس رومية حيث كان النصارى الاولون في القرون الثلاثة الاولى يقيمون فرائض دينهم . فانَّ التصاوير التقويّة التي تزيّن جدرانها او وُجدت بين آثارها وعلى نواويس المقبورين فيها تبلغ المئين وتملأ مجلّدات ضخمة . وكذا قل عمّا أكتُشف من ذلك في دفائن مدن ايطالية وفرنسة وافريقية والاسكندريّة وغيرها . وبين هذه التصاوير ما يدلّ على براعة مصوّريها واتقانهم لأصول الفن ولعلّهم كانوا زاولوه قبل ان يدينوا بالنصرانيّة فخصّوا صنعتهم بخدمة الكنيسة بعد ان تفرّغوا زمناً لتصوير خرافات الوثنيين

وما يدلّ على عموم اكرام الصور في كنائس الشرق قبل القرن الخامس انَّ الامم التي انفصلت عن الكنيسة الرومانيّة في ذلك العهد كنساطرة الكلدان (اطلب مقالة حضرة الخوري بطرس عزيز في ذلك . المشرق ١٠ : ٨٤٤) ويعاقبة السريان والارمن والاقباط لم يزالوا يكرمون الصور كما ألفوا الامر قبل انفصالهم . ومن المقرّر انهم لم يحدثوا ذلك تبعاً لكنيسة رومية التي لم يخضعوا لاوامرها منذ ذلك الزمان

ولنا دليل اعظم منهُ في تصدّي الكنيسة جماء لمكايد الايقونوقلست المبتدعين الذين حاولوا نزع الصور وكسرها باغراء الامبراطرة لاون الثالث الايزوري (٧١٧–٧٤١) وقسطنطين الرابع الزبليّ (٧٤١–٧٧٥) ولاون الرابع الخزري (٧٧٥–٧٨٠) فدافع كثيرون من القديسين عن تعليم الكنيسة نخص منهم بالذكر القديس يوحنا الدمشقي[١] وتلميذهُ ثاودورس ابو قرّة وللاوّل ميامر عديدة في اثبات الحق اما الثاني فلهُ مقالة مطوّلة كتبها بالعربيّة وهي من اجلّ آثار القرن الثامن طُبعت في بونّة سنة ١٨٩٧ . وقد مات كثيرون في ذلك الاضطهاد شهداء ايمانهم وبقي الامر على ذلك الى أن عُقد بمساعي الحبر الاعظم والامبراطورة ايريني مجمع في نيقية فشجب الآباء اصحاب تلك البدعة وقرّروا اكرام الصور فلم يَعُد المخالفون الى مناقضة هذه الحقيقة

١) وقد صرّح القديس بذكر التماثيل ايضاً في كتابهِ عن الايمان المستقيم (ك ٤ ف ١٥)

في كل اقطار الشرق . اما الغرب فان تلك البدعة لم تجد لها عضدًا الى القرن السادس عشر حيث ظهر لوثاروس وذووه فجروا في محاربة الصور والتون مجرى الايقونوقلاست . وترى كثيرين من البروتستنت في عهدنا عادوا الى اكرام التصاوير ونصبوها في هياكلهم دون أن يجدوا في توقيرها اثرًا البتة للشرك والوثنية كما زعم بعض اجدادهم

*

ومن الامور المستغربة ان البعض فرقوا بين الصور المنقوشة بالدهون على الالواح او الانسجة والتماثيل المجسّمة فسمحوا باكرام تلك دون هذه وادّعوا ان اكرام الدمى من البدع المستحدثة وانّ الكنيسة لم تكرّم في سالف الاجيال مثل هذه التصاوير المنقورة في الصخر او النائتة الشكل بالحفر او النحت وانّ الكنيسة الرومانيّة ابتدعت هذا في القرن العاشر كما زعم جناب الكاتب نسيم خلاط في سياحته (ص ٣٣-٣٤) وقال هنالك انه لم يجد في متاحف اوربا اثرًا للتماثيل الدينيّة فاستنتج «ان البروز في وجوه الصور الملساء من مساواة الجسم لم يظهر في الايقونات الّا في آخر القرن العاشر »

قبل الجواب على هذا الاعتراض يحسن بنا ان نقول انّه لمقرّر انّ عدد التماثيل في قرون الكنيسة الاولى لم يكن وافرًا مستفيضًا لا لكون الكنيسة كانت تعتبر هذا الاكرام كمخالف لوصاياه تعالى او خوفًا منها ان يكون هذا التبجيل شبيهًا بعبادة الاصنام لا لعمري وانّما سببهُ احتراز الكنيسة في قرونها الاولى من كل ما يمكنه ان يشكّك الطالبين للتنصّر فيظنّون انّ اكرامنا لتلك التماثيل يشبه اكرامهم الباطل سابقًا لتماثيل المتهم . وكان للكنيسة داعٍ آخر يحملها على الاقلال من تلك الدُمى خوفها من أن تقع في ايدي المتعصبين فيعرّضونها للهزء والسخريّة . اما التصاوير الملونة المنقوشة على الجدران او الانسجة فكان إخفاؤها عن العيان من الامور السهلة فلم يأتها اهانة واحتقار

قلنا انّ اصطناع التماثيل في اوائل النصرانيّة كان قليلًا ولا ننكر مع ذلك وجودها كما نبيّنهُ في الاسطر التالية

(اولًا) اخبر اوسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك٧ ف ١٨ . مجموع الآباء اليونان لمين مجلّد ٢٠ ص ٦٧٩) ومثلهُ المؤرخ سوزمان (ك٥ ف ٢١ مجموع الآباء مجلّد ٦٧ ص ١٢٧٩) وغيرهما بانّ المرأة التي شفاها السيّد المسيح من نزيف الدم (لوقا ٨ : ٤٣) لمّا رجعت الى وطنها قيساريّة اقامت تمثالًا للسيّد المسيح جعلتهُ على باب دارهــا

وصوَّرت نفسها امامهُ حين ابرأها من مرضها. قال اوسابيوس أنهُ شاهد ذلك الاثر. واخبر سوزومان بانَّ الوثنيين في أيام يليانوس الجاحد حطَّموا ذلك التمثال لكنَّ النصارى جمعوا قطعهُ وحفظوها باكرام في كنيستهم (١

(ثانياً) في المتحف اللاتراني في رومية دمية صغيرة من الرخام الابيض تمثّل صورة السيّد المسيح على صفة الراعي الصالح فهو لابس ثياب الرعيان وعلى جنبيهِ مزاد الراعي وفوق منكبيهِ الخروف الضالّ يمسك بيديهِ قوائمهُ الاربعة . وهو تمثال غاية في البهاء والحسن يُعدُّ من اجمل المنحوتات واحكمها صنعاً وارباب العاديّات يرقّون عهدهُ الى القسم الاوَّل من القرن الثالث (٢ ومن سوء الطالع انَّ هذا التمثال مكسور الساقين (اطلب الشكل الاول)

(ثالثاً) وفي المتحف عينهِ تمثال آخر للراعي الصالح دونهُ صنعاً ودقّةً لكنَّهُ تامٌّ سليم وصورتهُ تخالف صورة التمثال السابق وفي رجليهِ حذاء طويل يبلغ ركبتيهِ . وباحدى يديهِ يمسك عصاة الراعي والمرجح انهُ اقدم من التمثال السابق (٣

(رابعاً) ورد في تاريخ حياة قسطنطين الكبير لاوسابيوس القيصري (٤ انَّ قسطنطين لمَّا ابتنى القسطنطينيَّة زيَّن ساحتها الكبيرة بتماثيل بهيَّة في جملتها تمثال الراعي الصالح وتمثال دانيال النبيّ بين أسدين كما كان في بئر الاسود . وقد وصف الاثريّ الشهير دي روسّي تمثالين آخرين من الراعي الصالح وجدهما في متحف الاستانة الجليل اكتُشف الواحد في دار السلطنة والآخر في بروسة لكنهما من القرن السادس فقط وعلى رأي هذا النابغة انَّ تماثيل الراعي الصالح نُحتت اوَّلاً في بلاد الشرق ومنها انتشرت في جهات الغرب . فيكون اذن السبق للشرق في اصطناع التماثيل الدينيَّة كما في امور اخرى كثيرة

(خامساً) ومن التماثيل الشهيرة التي شاع ذكرها وتُرى اليوم في المتحف اللاتراني

---

١) اطلب تاريخ الاثار النصرانيَّة لدوم لوكلار (Dom H. Leclercq: *Manuel d'Archéologie Chrétienne*. II, 248-250)

٢) في التاريخ عينهِ (*ibid.* II. 251-253)

٣) في التاريخ عينهِ (*ib.* II. 254)

٤) اطلب Eusebius: *De Vita Constantini*, l. III. c. 49

تمثال احد كتبة الكنيسة في اواسط القرن الثالث اعني بهِ القديس هيبوليتوس اسقف مدينة پورتو . وهذا التمثال منحوت في الرخام الابيض والقديس جالس على سُدّة الملّين وفي ظهر التمثال جدول تآليف القديس هيبوليتوس باليونانيّة

(سادساً) ومن التماثيل الشهيرة التي تنبئ باكرام قدماء النصارى لمثل هذه الصور المجسّمة تمثال هامة الرسل القديس بطرس الذي يرتقي الى القرن الخامس وتزدان بهِ كنيسة الواتكان الكبرى . فهذا الاثر من الشبه يمثّل القديس بطرس جالساً يبارك بيمينهِ ويمسك في شمالهِ المفاتيح الرمزيّة . وقد رسمنا هذه الصورة في المشرق (٦ : ٥٧٨) في جملة آثار أخرى جليلة وُجدت في الداميس وكلّها تنوّه برئاسة ذلك الرسول على الكنيسة جمعاء . (اطلب هناك مقالة حضرة الاب لويس جلابرت) . والظنّ ان هذا الشخص من عمل الوثنيين فلمّا تغلب قسطنطين على الدين الوثني أعاد المسيحيون سبكهُ وخصّوه باكرام كبير الرسل

(سابعاً) وقد وُجد في داميس رومية سنة ١٧٠٢ تمثال آخر من البرنز صغير الحجم يمثّل بطرس الرسول منتصباً كمعلّم وعلى منكبهِ الايسر صليب الربّ ينتهي طرفهُ الاعلى بالحرف الاوّل من اسم السيّد المسيح . وقد حُفرت هذه الصورة على عدة آثار نصرانيّة قديمة (١

(ثامناً) وقد جاء في اعمال القديس غريغوريوس النزينزي الثاولوغس في رسالة كتبها سنة ٣٨٢ انهُ سعى بتشييد كنيسة وزيّنها بالصور والتماثيل (٢

(تاسعاً) في متحف العاديّات الصون في الاستانة تمثال للعذراء مريم حاملة على ذراعيها الطفل يسوع . وهو موسوم هناك بالعدد ٥٩٠ (راجع وصف عاديّات هذا المتحف للاثري س . ريناخ)

(عاشراً) ومثلهُ تمثال آخر للبتول سابق للقرن السابع وجدهُ الرحّالة دومون (A. Dumont) في مدينة ميريونيت من اعمال تراقية (٣

---

١) راجع دون لوكلار Dom Leclercq II. 259

٢) راجع نشرة الآثار النصرانية للعلامة دي روسّي Bull. di arch. christ., 1887, p. 148)

٣) راجع مجموع البحاث العلميّة القسم السادس المجلد ٣ ص ٧٨٧

(حادي عشر) وفي عاديّات كنيسة خلكيس دمية اخرى تمثل العذراء مريم واقفة في هيئة المصلّين

(ثاني عشر) وممّا كان يزين كنيسة أيا صوفيا من التصاوير تمثال عظيم للقديسة هيلانة والدة قسطنطين الملك (١ ولا نتعرّض هنا لذكر تماثيل أخرى كانت منصوبة في الساحات كتمثال قسطنطين الكبير في القسطنطينيّة وتمثال ثاودوسيوس في انطاكية لئلا نخرج من طور الدين الى الطور المدنيّ وغايتنا أن نصف خصوصاً التماثيل الدينيّة

(ثالث عشر) ومن الآثار العزيزة الوجود تمثال من الرخام منقوش بالالوان الزاهية يمثل القديس بطرس على كرسيّ الرئاسة وفي يده المفاتيح وهو لابس رداء اخضر وعلى الرداء بُردة حمراء. وهذا التمثال يُرى اليوم في سراديب الواتكان تاريخه القرن الثالث للمسيح (٢ (انظر العدد الاوّل من الشكل الثاني)

(رابع عشر) وممّا يؤيد رأينا في شيوع التماثيل ما يُخبَر عن قسطنطين الزبلي أنّه لمّا اشهر الحرب على الدافعين عن الصور امر بان تجمع كل التصاوير والتماثيل التي في عاصمة ملكهِ فاحرق الصور واذاب التماثيل ليتّخذ ذهبها وفضّتها لخزائنهِ. وفي ذلك دليل قاطع على انّ الروم في الاستانة كانوا يكرمون الصور على اختلاف اشكالها سواء كانت منقوشة او منحوتة

(خامس عشر) وممّا يضاف الى الادلّة السابقة عدد دثر من النواويس النصرانيّة القديمة التي تُرى اليوم في معظم متاحف اوربّة وعليها نقوش محفورة وتصاوير نائتة تمثل اسرار الدين المسيحي واولياء الله والرسل والشهداء. ولولا انّ اولئك النصارى اعتبروا نقرها كشيء حلال يبعث في النفوس روح التُّقى لما تساهلوا بالامر. فمن تلك الآثار ناووس القديسة هيلانة الذي يُرى اليوم في متحف الفاتيكان وعلى جوانبهِ احداث كتابيّة مستعارة من الانجيل المقدّس. ومنها ناووس بنقوش محفورة وجد في حارة بساماتيا في اسطنبول وهو اليوم في متحف برلين يمثّل السيّد المسيح في وسط اثنين من رسلهِ وهو من ابدع الآثار النصرانيّة المكتشفة حتّى الآن — ومنها في المتحف الالماني

---

١) راجع كتاب بندروي (Banduri : *Imperium Orientale* ,I. 14)

٢) اطلب وصف الآثار الرومانية للاب غريزار اليسوعي (Grisar : *Analecta romana*, I, 627)

في رومية ناووس عليه صُور ناتئة ومنقوش بالالوان من القرن الرابع المسيح او الثالث وبين تصاويره صورة الراعي الصالح وصور بعض المسيحيين في هيئة الصلاة. وفي المتحف ذاته قطع منقوشة منقورة في الرخام مدوَّنة تمثل السيد المسيح في بعض اعمال حياته كوعظه على الجبل وتكثيره الخبزات للجموع. وهي آثار من القرن الخامس. ولو شئنا لأمكننا ان نذكر عددًا وافرًا من مثل هذه النواويس النصرانية وفي ما قلنا كفاية

(سادس عشر) وكما تعددت النقوش البارزة والتصاوير الناتئة من آثار النصرانية القديمة كذلك تجد في المتاحف عددًا جمًّا من قطع العاج والخواتم والصافات واثاث البيوت مما تواصل عهده منذ القرن الثاني الى القرن العاشر. فمن ذلك منبر كنيسة سالونيك الذي سلمت منه قطع صالحة وهو من الخشب المنقوش البارز تاريخه القرن الخامس للميلاد عليه صورة سجود المجوس للمسيح والربّ بين ذراعي امه مريم. ومنها نوط في متحف جينيلي كشك في الاستانة يمثل شلو القديس مرقس بارزًا. وهناك صورة اخرى من الرخام تُمثّر فيها عماد السيد المسيح وعلى كثير من الحجارة الكريمة قد حُفرت تصاوير نصرانية غاية في الدقة بعضها يمثل اسرار حياة المسيح كصلبه وموته وقيامته الى غير ذلك. اما صَنَعة هذه الحجارة فمنهم يونان ومنهم سوريون ومنهم ايطاليون — ومثل هذه الآثار خزفيات ومصابيح وصحائف بيتية منها ما نُقرت بالحفر ومنها ما هو ناتئ النقش وكلها تحتوي صورًا ورموزًا ومشاهد مختلفة استعارها المصوّرون من اخبار العهدين القديم والحديث (اطلب الاعداد ٢ و٣ و٤ من الشكل ٢)

وزد على ذلك نقودًا ومسكوكات نصرانية قديمة ضُربت في كل الممالك الشرقية والغربية وفيها تصاوير دينية شتى يطول ايضاحها وتشهد بان القدماء لم يفرقوا بين الصور الملساء والصور البارزة الشكل

(سابع عشر) ولنا شاهد آخر على اتخاذ قدماء النصارى للتماثيل واكرامها في كنائسهم وذلك في الشعر العربي الجاهلي حيث ورد ذكر التماثيل والدُّمى يريدون بها غالبًا الصُّور المنحوتة في كنائس النصارى كما ترى. قال الحارث بن خالد المخزومي (كتاب الاغاني ١٥: ١٣٣)

وبشرة خَوْدٍ مثل تمثال بيعةٍ نظلّ النصارى حولهُ يوم عيدها

قال في التاج (٨: ١١١) التمثال الشيء المصنوع مشبَّهًا بخلق من خلق الله عزَّ

دجل . وقال : التماثيل هي صور الانبياء . وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت . وقال عبدالله بن العجلان (اغاني ١٩ : ١٠٢)

غرّاء مثل الهلالِ صورتها ومثل تمثال صورة الذهبِ

وأبينُ من ذلك قول عدي بن زيد وقد جعل الدُّمية من عاج ووصفها بكونها في المحراب :

كدُمي العاج في المحاريب او كالـبَيْض في الرّوض زهرهُ مستنيرُ

ومثله في الوضوح قول النابغة :

او دميةٍ من مَرْمرٍ مرفوعةٍ بُنيت بآجرٍّ تُشادُ وقرمدِ

ومثلهُ لامرئ القيس يذكر تماثيل في موضع لبني طيّ يدعى سُعُف في وادي الساجوم(١

كأنّ دُمى سُقُف على ظهر مرمرٍ كسا مُزْبِد الساجوم وشياً مصوّرا

وقد صرّح الاحوص بأنّ الدُّمى كانت تجعل في الكنائس (الاغاني ٤ : ٤٩)

كأنّ لُبنى صبيرُ غاديةٍ او دُميةٌ زُيّنت بها البِيَع

فهذه بعض شواهد اقتبسناها كلّها من القرون العشرة الاولى للنصرانيّة فعسى نسيم افندي خلاط يقتنع بها ويتحقّق انّ الكنيسة الكاثوليكية باكرامها التماثيل والصور البارزة لم تُحدث بدعة وانّما تعقّبت آثار كل القرون السابقة مباشرة من عهد الرُّسل الى ايامنا (٢ . وقد رأينا والحمد لله انّ اهل عصرنا من غير الكاثوليك انفسهم شرقاً وغرباً يرون اليوم رأينا ويتّخذون الدُّمى والتماثيل التقويّة في معابدهم او مقاماتهم الدينيّة وهيهات ان يكرموها اكرام الوثنيين لاصنامهم وهم اذكى عقلاً وارفع تمدّناً من أن يشوبوا العبادة الصحيحة بأرجاس الشرك وفظائع الوثنيّة ومثال ذلك ما رأيناه مراراً في معابد البروتستانت في انكلترة الذين نصبوا التماثيل واكرموها كما يليق بأشخاص القديسين والاولياء . ففي كنيسة القديس بولس وهي امّ الكنائس البروتستانيّة في لندن قد نُصب منذ عشرين سنة تمثال البتول على المذبح الاوسط ومن عن يمينه تمثالا الرسولين بطرس وبولس . وكأنّ جناب نسيم افندي خلاط لم يدخل

---

١) اطلب شهادة الازرقي في تمثال المسيح والعذراء في الكعبة في الجاهلية (مجاني الادب ٣ : ٢١٧)

٢) وهنا يجدر بنا ان نذكر انّ عدة كنائس قديمة في الغرب لاسيّما في فرنسة تكرّم تماثيل للعذراء مريم منذ اجيال عديدة وهم ينسبونهم كلها الى الشرق ويزعمون انّها نُقلت الى بلادهم في القرون الوسطى

تلك الكنيسة ورمى الكلام على عواهنه اذ قال (ص ٥٨) انَّ كنيسة مار بولس في لندن «خلوة من تماثيل القديسين» وكان الأجدر به ان يلوم الانكليز في تحويلهم كنيسة وستمنستر الى متحف اذ زيّنوها بتماثيل رجالهم الكبار فخلطوا التصاوير الدينيّة بصور المشاهير من الأمة

ومما تقرّ له انظارنا في بيروت مشاهدتنا لمقبرة الروم الارثدكس في مار متري حيث ترى اكثر المدافن مزدانة بتماثيل من الرخام غاية في الحسن بينها صور القديسين والملائكة والعذراء مريم ومن هذه التماثيل التقويّة ما نُصب حتى في بيوت الخاصّة كتمثال القديس نيقولا الذي يُرى في بيت قريب من الناصرة وكذلك رأينا صورًا وصلبانًا ناتئة في بعض اديرة وكنائس الملكيين من كاثوليك واورثدكس ولم يعدّوا ذلك بدعةً

فيحقُّ اذن لكل الطوائف النصرانيّة أن تفتخر بالتمثال الجديد الذي رُفع فوق لبنان كنار على علم يُستضاء بها او كحربة الصاعقة تردُّ عن اهله البلايا والاضرار بشفاعة البتول الطاهرة التي أُعطي لها مجد لبنان . وفي الختام يسرُّنا ان نشير هنا الى ما نظمهُ حضرة السنيور جرجس شلحت في الفنون الجميلة والكنيسة وخصوصاً الى ما كتبهُ في فن النقاشة (المشرق ١٠ : ٩٨٤) حيث بيّن ما لهذه الصناعة من الوقع في القلوب وكيف قدّستها الكنيسة للرب باتّخاذ التماثيل التقويّة لتصرف قلوب اولادها الى الكنيسة العلويّة ومصافّ القديسين في السماء. فقال عن المعبد وزينته بالتماثيل فاجاد:

ان لم تَعُم فيهِ التماثيلُ يُرى	كالأرض إن حرّمها الله الورى
او كالسماء يرجُّحها الشُهُبُ	او كأس راحٍ لم يُرْعها الحَبَبُ
او سِلكِ تِبرٍ لم يُحلَّ بالدُّررْ	او مُزْنةٍ ضنّت علينا بالمطرْ
اجل اذا القصرُ خلا من دُميَةٍ	تخالهُ جوًّا خلا من ديمةٍ
او جنةٌ قد ذبلت ازهارها	وخسرت اثمارَها اشجارُها
والمرء لا يبحثُ على التُقى	سوى شبيهٍ لزنبقِ النقا
وحديهِ التمثالَ بالأبصارِ	يُذكرهُ فضائل الابرارِ
يخرّ امام دمية القديس	مقدّساً لربهِ القدوس
ملتمسا منهُ غيائاً ومددْ	مستشفعاً الى المولى الصمدْ
لكنّنا لا نعبدُ التمثالا	كما هذى جهّالنا مقالا
بل نتمثّل بها اصحابها	مبجّلين كلّنا اربابها

نظر انتقادي في المطبوعات المصرية

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي

نشرت الجرائد المصريّة اعلاناً وقع لدينا احسن موقع فتلقّيناهُ بالسرَّة والشكر ومفادهُ انَّ الاديب محمّد افندي رشدي عزم على ان يصدر قريباً مجلّة تسمى « مجلّة طبع الكتب العربيّة » قال جنابهُ ان « موضوعها ان تطبع في كل عدد منها اربع ملازم من اربعة كتب مختلفة المواضيع ممّا هو موجود بالكتبخانة الخديويّة وذلك تسهيلاً لاقتناء الكتب ومطبعتها (كذا!) » ونسي صاحب الاعلان ان يعلمنا عن ميعاد صدور اعداد المجلّة أتكون اسبوعيّة او شهريّة كما انهُ لم يتفضل بتعريف محلات الاشتراك وقيمة بدلهِ

وهذا الخبر من شانهِ ان يبهج الارواح ويثلج صدور الادباء لعلمهم بما تحتويه خزانة الكتب الخديويّة من الكنوز الدفينة التي يتشوّق الى معرفتها ارباب البحث . ولا ندرى لايّ سبب يقتصر جناب المتولي لهذا العمل الجليل على مخطوطات الكتبخانة الخديويّة وفي مصر ما خلا تلك الخزانة مكاتب أخرى غنيّة بآثارها الكتبيّة منها مكتبة الازهر التي أضحت اليوم من المكاتب العمومية يمكن ايًّا كان ان يستقي من مناهلها الطيبة . هذا فضلًا عن خزائن أخرى للخاصّة لا نظنّ ان اصحابها يضنّون على محمّد افندي بنقل مضامينها ونشرها

وعلى كلّ حال نتمنى لجناب الاديب ان يباشر بالعمل قريباً ويقوم بهِ احسن قيام ويداوم على المشروع رغمًا عما يصادفهُ في طريقهِ من العوائق . وان سمح لنا حضرته ابدينا هنا بعض ملحوظاتنا في المطبوعات المصريّة مؤملين ان يعيرها بالًا لئلا تمرّ رجلهُ كمن سبقوه الى نشر المطبوعات العربية فنقول :

كلّ يعلم ما صارت اليهِ الطباعة العربية في عهد اسماعيل باشا وخلفيهِ . فانَّ مطبعة بولاق الشهيرة نشرت في زمن قليل عشرات من التآليف الجليلة التي راجت سوقها في انحاء الشرق حتى اصبحت اليوم عزيزة الوجود يكثر طلابها ولا يحصلون عليها الّا بالاسعار الفاحشة . ولا بدع فانّ المتولين لطبعها كانوا من شيوخ الازهر وائمة العلوم الذين شابوا بالانكباب على الدروس وكثرة المطالعة كالشيخ شهاب الدين والشيخ حسن العطّار

والشيخ مصطفى سلامة والشيخ عبد الرحمان الزملي وكان اولياء الامر عرفوا ما لهؤلاء المشاهير من الفضل فوكلوا اليهم تصحيح المطبوعات. فنهضوا بأعباء وظيفتهم بدراية ونشاط وكانوا لم يألوا جهدًا في تنقيح الكتب ومراجعة المسودات وهو شغل لا يعرف عناءهُ غير الذين باشروهُ. فجازاهم الله خيرًا على ما فعلوا

هذا ولسنا ننكر انّ مطبوعات بولاق عينها لم تبلغ اذ ذاك الى كمالها الّا أنها كانت قليلة الاغلاط حسنة الضبط. ومما كان يتمنّاهُ الادباء في ذلك العهد أن يقابل المصححون ما تولوا طبعهُ على نسخ متعددة ويثبتوا رواياتها المختلفة في ذيل المطبوعات بدقّة وتمييز كما يفعل العلماء المحققون

وكذلك كان يرغب أرباب الادب الى اهل الطباعة المصريّة ان يصدّروا كل كتاب بتعريف صاحبهِ وبيان مرتبتهِ من العلم ووصف النسخ الباقية من كتابهِ مع الافادة عن محاسنها ومساويها. وان يضيفوا الى الطبعة الجداول والفهارس التي تقرب الى الادباء الانتفاع بها

وممّا كان يأخذهُ العلماء على المطبوعات البولاقية ايضًا انّ اصحابها لم يتقنوا ماديات الطبع من جلاء الحروف والتوسيع بين الاسطر وافراز القطع بعضها عن بعض عند تغيير المعنى حيثما تجد في الكتب الخطيّة الفاظًا بالحبر الاحمر دلالةً على ذلك فترتاح العين بالنظر الى تلك الاشارات. وكانوا يزيدون بلاء على بلاء بطبع كتابين الواحد في النص والآخر على الهامش رغبةً في ترويج الكتاب بكثرة موادهِ وهو بئس الاقتصاد بالدراهم مع ما ينجم عن ذلك من فقد الوقت الثمين للتفتيش على المطلوب

تلك مآخذ اخذوها على مطبوعات بولاق القديمة مع ما اشتهرت بهِ من الضبط والتنقيح كما سبق اليهِ القول. والى ذلك الطور تُنسب عدّة تآليف مُثلت بالطبع كمجمع الأمثال للميداني وخطط المقريزي ونفح الطيب للمقري والصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروزبادي والمصباح للفيومي وتاريخ ابن خلدون وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وشرح مقامات الحريري للشريشي ومفردات ابن البيطار وكليات ابي البقاء ووفيات الاعيان لابن خلكان واحياء علوم الدين للغزالي واسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير وحياة الحيوان الكبرى للدميري وكشف الظنون للحاج خليفة والعقد الفريد لابن عبد ربهِ شرح ديوان المتنبي للعكبري وخزانة الادب الحموي وكتب

اخرى مفيدة قرّبت الى الدارسين موارد الآداب ومكّنتهم من اقتباس انوار الاقدمين الباب الله الافاضل الذين كدّوا اذهانهم واسهروا اجفانهم لاستخراج تلك الدفائن من قبورها واحيائها بعد دثورها

هذا ومنذ نحو ثلاثين سنة دخلت مصر في طور جديد فتحسّنت احوالها المادّية وانفتحت في وجوه اهلها ابواب المكاسب ورقيت في معارج الفلاح في زراعتها وتجارتها وصنائعها ونمت مع هذا ايضاً حياتها الادبيّة فتوفّرت المدارس وكثرت المطابع وتعدّدت المطبوعات وانتشرت في كل الانحاء الجرائد والمجلّات وأُنشئت خزائن الكتب العموميّة فكان العلماء يبنون على هذه النهضة الادبيّة آمالًا طيّبة بنشر مآثر القدماء وابرازها على صورة موافقة لترقّي الانتقاد في عصرنا فيسير الخلف على آثار السلف بل يزيدون عليهم فضلًا مع توفّر الوسائل الجديدة الكافلة بالنجاح . لكنّنا لسوء الطالع لسنا نرى هذه الآمال قد تحقّقت اللهم الّا في بعض المطبوعات التي اجتهد في إصلاحها وضبطها افرادٌ يُشار اليهم بالبنان لفضلهم . فمن تلك الآثار التي تشرّفت بها المطبعة الاميريّة خصوصاً معجم ابن منظور الموسوم بلسان العرب الذي قام بتصحيحه الشيخ محمّد الحسيني مع غيره من الائمّة وراجعوا في تنقيحه عدّة تآليف لغويّة مطبوعة ومخطوطة وضبطوه بالشكل الكافي فقلّت اغلاط الكتاب (١ بالنسبة الى غيره من المطبوعات

وممّا أُتقن طبعهُ في المطبعة نفسها اثرٌ لغويٌّ جليل تولّى نشرهُ حديثاً بعض فضلاء المصريين وسراتهم نريد كتاب المخصّص لابن سيده في ١٧ جزءا و٣٠٠٠ صفحة فلم يضنّوا حفظهم الله بالتعب والنصب ليكون الكتاب مثالًا في الصحّة والضبط وكان في مقدّمتهم الشيخان الفاضلان محمّد الشنقيطي وعبد الغني محمود

وكذلك أحسن الشيخ محمود مصطفى في ضبط مطبوع آخر نفيس وهو كتاب سيبويه فجارى بطبعه النسخة الباريزيّة وزاد عليها فضلًا بما اضافهُ اليها من شروح ابي سعيد السيرافيّ وشرح شواهدها للأعلم الشنتمريّ . ولو ختمها بالفهارس الموسّعة لأتى بذلك عملًا خلّد له الذكر الجميل بين الادباء والنحويين . وممّا يستوجب الثناء من

(١ قد نشر صاحب مجلّة الضياء المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي بعض هذه الاغلاط التي لم ينجُ منها هذا التأليف الّا في نصوص قليلة

المطبوعات اللغويَّة الحديثة التي نُشرت في المطبعة العثمانيَّة في القاهرة كتاب النهاية في غريب الحديث والاثر لمجد الدين ابي السعادات الشهير بابن الاثير اخي صاحب تاريخ الكامل · ساهر على ضبط اصلهِ الشيخ عبد العزيز الطهطاوي

فهذه المطبوعات وغيرها قليل حفظت لدار الطباعة المصريَّة حُسْن سمعتها لكنك اذا قستها على عدد المطابع المصريَّة وكثرة مطبوعاتها وجدتها بعيدة عن المقصود لا تجدي طالبيها نفعًا او تنحصر فائدتها في الشيء الزهيد · هذا ولا تنكر انَّ الطباعة المصريَّة قد تحسَّنت مادّيَّاتها منذ نحو عشرين سنة فكادت تشبه بإشراق حرفها وجودة طبعها مطبوعات الشام الَّا انَّ هذه النعمة ثانويَّة بالنسبة الى مضامين تلك التآليف

فمن آفة الطباعة المصريَّة اشتغال كثيرين من اصحابها بنشر الروايات الخياليَّة والقصص الهزليَّة التي ينقلونها في الغالب عن اللغات الاجنبيَّة فلا تفيد قرّاءها شيئًا لا من حيث معانيها ولا من حيث عبارتها وانَّما هي كسائر الملاعب التي يتلهى بها الناس ويقتلون الوقت كما يزعمون ولعل هذه الروايات تربي على نصف المطبوعات المصريَّة

ومنها انَّ عددًا كبيرًا من التآليف العربيَّة يصنفها اصحابها المصريون ليعارضوا فيها الاوربيين في فنونهم وآدابهم وطرائقهم الكتابيَّة في السياسة والمعارف والصنائع فلا تكاد تروي غلَّة ولا تشفي علَّة الَّا القليل منها التي يُشار اليها بالبنان كترجمة شعر الالياذة لسليمان افندي البستاني

وكذلك الكتب المدرسيَّة التي تُطبع في مصر فانَّها حتَّى الآن لم تبلغ ما بلغتهُ مطبوعات الشام من الاتقان والايضاح وحُسن الاسلوب في ترويض الاذهان الَّا البعض منها لسوريين يستوطنون اليوم القطر المصري · وربَّما نقل المشتغلون بهذه المطبوعات المدارسيَّة ما نشرهُ اهل الشام رغبةً في الربح دون ان يشيروا الى ما سبقهم اليهِ هؤلاء · مثال ذلك كتبنا المدرسيَّة التي سعينا بجمعها ونشرها قبل عشرين سنة ولا سيَّما مجاني الادب ومرقاة المجاني ومقالات علم الادب فانَّ بعض المصريين استحسنوها وطبعوا منها قطعًا عديدة وصفحات طويلة بل كتبًا كاملة كما كنَّا انتقيناها من كتب الاقدمين متصرّفين فيها بعض التصرُّف وفقًا للشؤون المدرسيَّة · وكان هؤلاء النسَّاخ في غنى عمَّا فعلوا مع كثرة الوسائل ووفرة التآليف في كتبخانات مصر

أمَّا التآليف التي شحذ بها المصريون قرائحهم فخصُّوها آخرًا بمواضيع جديدة

وأخرجوها مخارج مستظرفة ليخدموا بها الآداب فقائمتها ليست بمتّسعة لا يصبر منها على صروف الدهر الّا ما لا يُعبأ به كبعض مصنفات علي باشا مبارك وعبدالله فكري باشا وبعض الدواوين الشعريّة لخمسة او ستّة من الشعراء المجيدين وتآليف ادبيّة قليلة كتاريخ التمدّن الاسلامي لجرجي افندي زيدان وحضارة الاسلام للمرحوم جميل مدوّر . ومصنّفات اخرى سوف نذكرها ان شاء الله في مقالتنا عن تاريخ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر . وكذلك تآليف قليلة في التاريخ والجغرافية كتاريخ السودان لنعوم بك شقير وتاريخ مصر الحديث لجرجي افندي زيدان والجغرافيّة العموميّة لاسماعيل افندي علي

وقد طُبع غير ذلك في مصر من الآثار الادبيّة في هذا الربع الجيل الاخير كنّا وددنا لو امكننا تقريظها بالثناء التامّ لولا عيوب فيها ظاهرة تطمس شيئاً من محاسنها اوّلها كتاب تاج العروس الذي مع جزيل فوائده ووفرة موادّه وقع فيه الخلل لنقص لوازم طبعه كاهمال شكل مفرداته وشواهده وعدم الافراز بين متنه وشروحه وقلّة الفواصل بين مظانّه مع اختلاطها فيضيع المفتش قبل البلوغ الى مطلوبه وقتاً ثميناً كان يمكنه توفيره لولا هذا الخلل

ومن المطبوعات التي اجحفها طبعها السيّئ كثيراً من قدرها كتاب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب للشيخ عبدالقادر بن عمر البغدادي وهو من اجدى المطبوعات المصريّة فائدةً بكثرة موادّه ومضامينه الادبيّة واللغويّة ولذلك احبّ العلّامة اغناطيوس غويدي الاستاذ الايطالي الشهير ان يسرد لاعلامه فهرساً ليسهّل على المطالعين تناول شذوره الذهبيّة وبذلك سدّ شيئاً من خلله

وكذلك صنع الاستاذ النمسوي والمستشرق الشهير مولر (الذي دعا قصة بامرئ القيس بن الطحّان) فألحق بفهرس مفيد كتاب عيون الانباء في طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة المطبوع في المطبعة الوهبيّة وبذلك وفّر محاسن هذا السفر الجليل الذي كان حقّه ان يُطبع بكل دقّة واحكام

وممّا نأسف ايضاً على سوء طبعه المصري وعدم ضبطه بالشكل الوافي كتاب اساس البلاغة لجار الله ابي قاسم الزمخشري وهو من الكتب الفريدة الذي كان انتفع به العلماء منفعة مضاعفة لو أُحكم طبعه

ومثله في الفوائد وسوء الطبع كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسيّ المعروف بابي شامة طُبع في مطبعة وادي النيل فضاعت معهُ جلّ منافعهِ . وكتاب مثل هذا كان ينبغي لمتولّي طبعهِ ان يزينهُ ببعض الشكل ويذيّلهُ بالحواشي ويوفّر لهُ المحاسن الطبعيّة . كما فعل الافرنج الذين طبعوا منهُ قسمهُ الاكبر (Hist. des Croisades, *Hist. Orientaux*, IV, 1-525) وقابلوه الى الفرنسيّة واضافوا اليهِ التذييلات والفهارس جازاهم الله خيرًا

وقد استحقّت ادارة الكتبخانة الخديويّة شكر العلماء بطبع عدّة مؤلّفات قديمة غاية في النفع كتاريخ مصر لاحمد بن اياس وجزء من كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق وكتاب اسماء البلاد المصريّة للامام ابن جيعان وتاريخ الفيّوم وبلادهِ لابي عثمان النابلسيّ الصفديّ وقسم من كتاب صبح الاعشى للقلقشنديّ ونشرتها بهمّة مديري مكتبتها المستشرقين كرل فولرس وب· موردتس وكلّها مذيّل بالفهارس وطبعت قسمًا منها بالمطبعة الاهليّة وقسمًا بالطبعة الاميريّة (المشرق ١٠:٥١٥) لا ينقصها من الكمال الّا زيادة في حسن الطبع وتعليق الحواشي على بعض مبهماتها. ومثلها في الافادة تاريخ السخاوي المعنون بالتبر المسبوك الذي وقف على طبعهِ وتصحيحهِ الوجيه الاديب احمد زكي بك وياليتهُ وجد منهُ نسخةً ثانية للمقابلة واصلاح ما بقي فيهِ من الاغلاط وحشّاه ببعض الملحوظات وختمهُ بفهرس

وكل هذه المطبوعات طُبعت بالحرف الناعم الدقيق الذي لا تقرّ لهُ العين ولا يأنس بهِ الخاطر . واحسن منها طبعًا وانضر حرفًا كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة الذي طبعهُ محمّد افندي محمود الرافعي في مطبعة النيل لولا انهُ خالٍ من الحواشي والفهارس المستوفية . وكذلك مطبوعات مجلّة الهلال فانها جليّة مشرقة الحرف وقد مرّ لنا انتقاد على كتاب جليل طُبع في هذه المطبعة ولم تُستوفَ شروط طبعهِ (اطلب المشرق ٨:٧٥٧و٧٨١) وهو كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي. وكذلك انتقدنا على اثر آخر نظر فيهِ وصحّحهُ محمّد افندي صادق عنبر فبيّنّا ما ينقصهُ من اسباب الكمال (المشرق ١٠:١٣)

وقد تألّفت في مصر شركة لطبع الكتب العربيّة منذ نحو عشر سنوات فنشرت بعض التآليف القديمة اخصّها كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة للوزير لسان الدين ابن

الخطيب · أتقن طبعهُ وضبطهُ وكان حقّهُ ان يُحلّى بغيرِ ذلك من الحسنات الطبعيّة اعني الملحوظات التاريخيّة والفهارس وتشكيل بعض الاعلام

ومن قام بأكثر هذه المرغوبات اسكندر افندي آصاف مدير المطبعة العموميّة في طبع الاعجاز والايجاز لابن منصور الثعالبي فالتزم تذييلهُ بشروح حسنة والحقهُ بفهرس للاعلام ولو ضبطهُ ببعض الشكل لكان أصاب المرمى .

ومن المطابع المصريّة التي تحسّنت في مصر مطبوعاتها مطبعة السعادة ومطبعة الترقّي ومطبعة التمدُّن والمطبعة الحسينيّة ومطبعة التقدُّم وقد وجدنا لكلها بعض المطبوعات التي توازي في نضارتها وجودة ورقها وصورة حروفها احسن المطبوعات الشاميّة لكنها كلّها ايضاً خلوٌ من تلك التسهيلات التي يرغب فيها الادباء كالمقابلة على نسخ متعددة وتزيينها بالمقدّمات والشروح والفهارس والتدقيق في ضبط الاعلام وهلمَّ جرًّا

وممّا لا يجوز لنا السكوت عنهُ انَّ كثيرًا من المطبوعات المصريّة قد نُشرت بعد طبعها السابق في حواضر الفرنج فيعيد المصريّون طبعها دون أن يشيروا الى طبعاتها الاولى وهم في الغالب يتعقّبون آثارها وينقلون عنها دون التصريح بفضل السابق لينتفعوا من ارباحها ويسلبوا لانفسهم فخر نشرها . وكثيرًا ما تُنشر هذه الطبعات دون شيءٍ ممّا يزينها في الطبعات الاوربيّة من ورق حسن وطبع نظيف وحواشٍ مفيدة وفهارس مقرّبة لتفتيش المطلوب وانّما غايتها الوحيدة أن يستغني بها الشرقيّون عن طلب ما هو انفع لهم فيشتروها لبخس اسعارها وهي بئس التجارة

ولدينا اكثر من خمسين تأليفًا من هذه المطبوعات الحديثة التي استجاز اصحابها نشرها على هذه الطريقة دون أن يتكلّفوا في طبعها ومراجعتها تعبًا وكدًّا بل جرّدوها كما قلنا عن كثير من محسّناتها اقتصادًا في النفقة وتوفيرًا للمكسب فمن ذلك كتاب الكامل لابن المبرّد الذي كان احسن العلّامة رَيت (W. Wright) طبعهُ وضبطهُ على سبع نسخٍ فكرّرت طبعهُ المطبعة الخيريّة وادّعى في آخرهِ ناظر مسوّداتهِ « انهُ افرغ في تصحيحهِ وتنقيحهِ الجهد وبذل في تحرير ضبوطهِ ما في وسعهِ مشمّرًا عن ساعد الجد فازهر بحول الله يانع وردهِ وصفا بحمد الله مورد وردهِ » ولم يشِر المصحح الّا التصريح بنقلهِ عن الطبعة الاوربيّة التي تفوق الطبعة المصريّة من وجوه متعددة

ومثل هذا سيرة صلاح الدين الايوبي للقاضي بهاء الدين بن شدّاد طُبعت بجونها

عن طبعة ليدن (سنة ١٧٣٢) دون الاشارة الى تلك الطبعة . وكانت قد طُبعت ايضاً في باريس طبعة منقَّحة مع شروح وفوائد عديدة .Hist. des Croisades) Hist. Orientaux, III, 1-430) فجاء الطابع المصري منصور عبد المتعال ونشر الكتاب عن طبعته الاولى مع اغلاطه ودون الانتفاع بشيء من ملحوظاته اللاتينيَّة التي جهل الطابع معانيها لا بل نقل عنها المُلحَق المأخوذ عن تاريخ ابي الفداء دون مراجعته على طبعة الاستانة — ومثلهُ ايضاً كتاب تاريخ ابن الطقطقي المعروف بالفخريّ الذي سبق طبعهُ في المانية وفرنسة فاتخذهُ بعض اهل مصر غنيمة باردة باعادة طبعه نقلاً عنها — وكذا فعل قبلهُ طابع رحلة ابن بطوطة بعد ان نشرها في باريس المستشرقان ديفرامري وسانغوينانّي ونقلاها الى الفرنسويّة وحلّياها بالحواشي والفهارس فجرّدها الطابع المصري عن كل هذه الفوائد لينال بها ربحاً خبيثاً

وفي هذه المدَّة الاخيرة قد كثرت هذه السرقات لتوفُّر المطابع فصار كل من يجد كتاباً عربياً من المطبوعات الاوربيَّة الثمينة تسارع الى طبعه كأنَّ الكتاب لمجرَّد كونهِ قديماً صار ملكاً لمن أمل منهُ الربح ولعلَّ بعض المختلسين يظنُّون انَّ مطبوعات الشرق لا يعرفها الغربيُّون لبعد اصحابها عنهم فلا يقيمون عليهم الحجَّة

وممَّا نُقل في هذا العهد الاخير عن تلك المطبوعات الاوربيَّة كتاب الموشَّى لابي الطيّب محمَّد الوشَّاء. طبعهُ في ليدن العلّامة برونوف فتلقَّفهُ الطبعة الحسينيَّة وطبعهُ احمد ناجي الجمالي ومحمَّد امين الخانجي منذ سنتين «الطبعة الاولى» (كذا) مع تغيير اسم الكتاب الذي دُعي كتاب «الظرف والظرفاء» قال المتولّي طبعهُ انهُ انتحل لهُ هذا الاسم الجديد «ليطابق مسمَّاه» كأنَّ صاحبهُ لم يدرِ تطبيق الاسم على المسمَّى (؟). ولا حاجة للقول انَّ الكتاب عُرّي من كل حليه الطبعيَّة كالشكل والروايات والاصلاحات والفهارس بل زيدت فيهِ بعض التصحيفات التي لا تراها في الطبعة الاصليَّة — وكذلك طبع الاديبان الآنف ذكرهما على الطريقة المختصرة ذاتها كتاب المعمَّرين لابي حاتم السجستاني الذي طبعهُ في مدينة ليدن الاستاذ الشهير غلدتسيهر (I. Goldziher) — وقد طمحا الى ما فوق ذلك فطبعا معجم البلدان لياقوت الحموي عن نسخة ليبسك التي عني بنشرها وستنفلد (F. Wüstenfeld) ولم يقتنعا البتَّة من المجلد الضخم الاخير الذي ضمَّنهُ ذلك المستشرق ملحوظات واصلاحات وفهارس تبلغ ١٣٠٠ صفحة كما

انهما لم يقابلا طبعتها على الطبعة التي ظهرت في العجم التي مع سقمها لا تخلو من بعض الفوائد والروايات المختلفة

ومما كان سعى بنشره استاذان من كلية ليدن العلّامة دي غوي (de Goeje) والأسوف عليه فان فلوتن (Van Vloten) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة اجاد في طبعه ما شاء. الموسيو دي غوي ثمّ آثار الجاحظ ورسائله منها كتاب البخلاء وكتاب المحاسن والاضداد ورسائل عزيزة الوجود افنى فان فلوتن حياته في جمعها ونشرها فكل هذه الآثار استولى عليها المجتهد محمّد افندي امين الخانجي وطبعها «الطبعة الاولى» (كذا) . لكنّنا نقرّ مع ذلك بما له من الفضل في طبعته اذ زاد على تلك الرسائل رسالتين لم ينشرهما سابقاً الاستاذ الهولندي . فياليته كان راجعهما مثله على نسخ مختلفة واحكم ضبطهما . ويقتضي العدل ايضاً بان نقول ان جريدة مصباح الشرق كانت سبقت المرحوم فان فلوتن فنشرت احدى رسائل الجاحظ في فضائل الاتراك سنة ١٨٩٨ وصحّحتها وزيّنتها بالشكل الكامل . كما انّنا لحظنا اختلافات في الروايات بين طبعة مصر وطبعة ليدن من كتاب الشعر والشعراء ما يدلّ على ان صاحب الطبعة المصرية استعان بنسخة خطّية مختلفة وعلى كل حال انّ الفرق بين الطبعتين كفرق الثريا والثرى

ونضيف الى السرقات السابقة كتاب عيون الاخبار الذي تولّى طبعهُ الالماني الهمام كرل بروكلمان فما ظهر لعالم الوجود حتى اسرع المصريون الى طبعه فطبعهُ ايضاً «طبعة اولى» (كذا) على نفقته محمّد افندي ابراهيم ادهم . فلله ما اكثر الطبعات الاولى في مصر . ولعلّ الكتبيّ مصطفى افندي فهمي نسي ان ينبه في تاريخ الاندلس انها طبعتهُ الاولى والناشر انهُ أنف من هذا الكذب لكنّهُ لم يصرّح بانّ هذا الكتاب قد طبعهُ في ليدن العلّامة دوزي سنة ١٨٤٧ وانّ طبعتهُ هذه منقولة عنهُ

وكان العلّامة الدكتور ديتريصي (F. Dieterici) مولعاً بآثار الفارابي ورسائله الفلسفيّة فاجتهد في جمعها وطبعها وترجمتها وتذييلها بالحواشي فجاءت طبعتهُ حجّةً لمن يريد درس مآثر ذلك الفيلسوف الامام فتحجم بعض المصريين على هذه المطبوعات فنشروها بحرفها الواحد في مطبعة السعادة ومطبعة النيل وكلاها على زعمهم «الطبعة الاولى» وربما زادوا عليها «انّ حقوق الطبع محفوظة» اي للمختلس

ومن ظريف ما رأينا من هذه المطبوعات المصريّة شرح ديوان ابن الفارض للشيخين البوريني والنابلسيّ الذي اهتمّ بطبعهِ الكونت رشيد الدحداح في مرسيلية سنة ١٨٥٣ واجاد في تصحيحهِ وضبطهِ فرأت المطبعة الخيريّة ان تختصّ هذا الاثر بنفسها وطبعتهُ بعد ان غيّرت مقدّمتهُ ونسبتهُ الى « رشيد بن غالب المجتبى » كأنَّ « المجتبى » مرادف للدحداح

ولمّا كان المثل بالمثل يُذكر نروي هنا ما رأيناهُ مؤخرًا من امر بعض المطبوعات الشاميّة نريد كتاب مناجاة البلغاء في مسامرة البيضاء الذي افرغ الوسع في ترجمتهِ من التركيّة جناب القانونيّ سليم افندي باز وطبعهُ في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٨٢ . ففي السنة الجارية اختلس هذا الكتاب سعيد علي الخصوصيّ الكتبيّ وطبعهُ بحرفهِ بعد ان غيّر اسم الكتاب فدعاهُ « نوادر الادباء ومنادمة الظرفاء » وابدل صفحتهُ الاولى وصفحتهُ الاخيرة ليوهم القرّاء بان الكتاب من تعريبهِ وهكذا غلب الصقر على الباز

هذا ولم نكتب ما سبق لنضعف عزائم ادباء مصر المجتهدين في نشر الآثار القديمة وتقريب مضامينها من العموم بل مراعاةً لحقوق الذين لهم الاسبقيّة في العمل أنما كفاهم التعب والعناء في خدمة الادب حتى يُسلَبوا ايضًا ثمرة اتعابهم ولا يسدّوا نفقات طبعها . فانَّ في كل البلاد المتمدّنة سننًا مرعيّة لا تسمح بطبع كتاب ألّفهُ او نشرهُ احد الكتبة الأعلى شروط معلومة . وفي العام الماضي صدرت ارادة سنيّة للحضرة السلطانيّة العليّة تحظر على اهل الطباعة انتهاك حقوق المؤلفين وتقضي بعقاب من يتجاوز في ذلك طورهُ فيا ليت المصريين يجرون على هذه السنّة

وليس لادباء المصريين حاجة الى هذه الارباح الدنيئة فانَّ عندهم مكاتب غنيّة بالمخطوطات النفيسة فترى ماذا يصدّهم عن الاستقاء من مناهلها . وان رأوا فائدة في تجديد طبعة احد الكتب القديمة فلا بأس من ذلك وانّما يترتّب عليهم أن يراجعوهُ على نسخهِ المخطوطة ويستفرغوا الجهد في تنقيحهِ وان يحسّنوا طبعهُ المادّي ويُضيفوا اليهِ ما يزيدهُ رغبةً في اعين الادباء من تعليقات وشرح الالفاظ المبهمة وضبط الاعلام وتدوين الفهارس الواسعة الى غير ذلك ممّا يكسبهم شكر ارباب العلم ويوفّر لهم الارباح المشرّفة . أفلا ترى ان الذين جدّدوا آخرًا طبع كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهانيّ اكتفوا بنقلهِ عن طبعتهِ الاولى فلم يصلحوا اغلاطها بل وجدنا فيها اغلاطًا جديدة لا اثر لها في

الطبعة الاولى واضافوا اليه القسم الحادي والعشرين دون أن يشيروا الى فضل صاحبه الدكتور برونوف (R. E. Brünnow) الذي قاسى في طبعه المشقّات فطبعوا هذا الجزء دون اثبات رواياته المنقولة عن اثنتي عشرة نسخة مخطوطة وقبيح من ذلك أنهم لم يوفّقوا اعداد الصفحات بين الطبعة الجديدة والقديمة فخسروا واخسروا فوائد الفهارس الجليلة التي وضعها لهذا الكتاب ائمة من المستشرقين في مطبعة ليدن . فترى من ذلك ما تحرمنا الطبعات المصريّة من الفوائد . فيا ليت هذه الاسطر تبلغ ارباب الطباعة في القطر المصري وتجد عندهم آذانا صاغية وقلوبا واعية فيجاروا المستشرقين في طباعتهم المتقنة وتنال منشوراتهم رضى العلماء فيثنوا عليها كما اثنوا على بعض مطبوعاتنا البيروتيّة

كتاب

الرّحل والمنزل

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

اقتطفنا هذا الفصل من كتاب سبق لنا في المشرق الاشارة اليه غير مرّة اعني احد مخطوطات مكتبة الملك الظاهر في دمشق الشام وهو مُعنون في تلك النسخة بكتاب الجراثيم ومنسوب لابي محمد عبد الله بن مسلمة الشهير بابن قتيبة . على انّ الذين سردوا جدول مصنّفات ابن قتيبة لم يذكروا له كتاباً بهذا الاسم وليس في مخطوطات خزائن الكتب المعروفة نسخة ثانية ترشدنا الى حقيقة الامر . وما لا ينكرهُ احد انّ الكتاب من آثار قدماء اللغويين ومن عجيب الامور انّ معجم لسان العرب وكتاب المخصّص لابن سيده يكادان يذكران معظم مضامين هذا الكتاب متفرّقة في مطاويها ويعرفها الواحد وهما ينسبانها لابي عُبيد المتوفّى سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٩) والله اعلم . وهذا الفصل الذي نقلناهُ هنا من أجدى ابواب الكتاب نفعاً يتضمّن معظم المفردات التي يستعملها العرب في اسفارهم ومنازلهم فتفيدنا كثيراً من عاداتهم واموره الاهلية . والنسخة الدمشقيّة التي نُقلت منها نسخة مكتبتنا الشرقية قديمة العهد طُمست منها بعض فقراتها فأمكننا بمراجعة كتب اللغة أن نرمّمها بما تستحقّهُ من الضبط الّا الفاظاً قليلة ابقيناها كما وجدناها دون القطع بصحّتها

(101) بَابُ الرَّحْلِ وَالآلَةِ وَالأَوَانِي فِي السَّفَرِ وَالحَفَرِ (١ وَالدُّورِ (102) وَالبُيُوتِ وَالأَخْبِيَةِ وَالأَبْنِيَةِ

أَمَّا حَاجَاتُ (٢ السَّفَرِ فَإِذَا كَانَ فِي رَحْلِ الإِنْسَانِ مُحِلَّاتٌ نَزَلَ حَيْثُ شَاءَ مُنْفَرِدًا عَنِ النَّاسِ وَهِيَ: القِرْبَةُ وَالفَأْسُ وَالقَدَّاحَةُ وَالدَّلْوُ وَالشَّفْرَةُ وَالقِدْرُ تُحِلُّهُ حَيْثُ شَاءَ وَإِلَّا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ النَّاسِ. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هٰذِهِ نُعُوتٌ وَأَسْمَاءٌ، وَمِنْ أَدَاتِهِ المِيزَانُ وَالسِّكِّينُ وَحَجَرُ المِسَنِّ وَالمَزَادُ وَالأَسْقِيَةُ وَالقِرَبُ وَالنَّارُ وَأَدَوَاتُ تُعْتَمَلُ فِي الحَفَرِ (١ وَالرَّحَا وَمَا فِيهَا

فَمِنْ أَدَاةِ الرَّحْلِ الغَرْضُ وَالغُرْضَةُ وَالتَّصْدِيرُ وَالسَّفِيفُ فَهُوَ حِزَامُ الرَّحْلِ، وَالوَضِينُ يَصْلُحُ لِلرَّحْلِ وَالهَوْدَجِ، وَالبِطَانُ لِلْقَتَبِ، وَالحَقَبُ لِلْبَعِيرِ مِمَّا يَلِي الثِّيلَ، وَالسِّنَافُ (٣ حَبْلٌ يُشَدُّ مِنَ التَّصْدِيرِ إِلَى خَلْفِ الكِرْكِرَةِ حَتَّى يَثْبُتَ، وَالشِّكَالُ أَنْ يُجْعَلَ حَبْلٌ بَيْنَ التَّصْدِيرِ وَالحَقَبِ وَهُوَ الزِّوَارُ وَجَمْعُهُ أَزْوِرَةٌ يُشَدُّ تَحْتَ ظَلِفَاتِ الرَّحْلِ، وَفِيهِ المَوْرِكُ وَهُوَ المَوْضِعُ الَّذِي يَثْنِي الرَّاكِبُ عَلَيْهِ رِجْلَهُ، وَالوِرَاكُ هُوَ الَّذِي يُلْبَسُ المَوْرِكَ وَهُوَ مُقَدَّمُ الرَّحْلِ. ثُمَّ يُثْنَى تَحْتَهُ، وَالنُّعَفَةُ جِلْدَةٌ تُعَلَّقُ عَلَى آخِرَةِ الرَّحْلِ وَتُسَمَّى العَذَبَةَ وَالذُّؤَابَةَ، وَالثَّلِيلُ (٤ مِسْحٌ يُلْقَى عَلَى عَجُزِ البَعِيرِ، وَالبَرْذَعَةُ هُوَ الحِلْسُ

---

١) كذا في الاصل. ولعلّ الصواب: الحَضَر ٢) قد طُمست هذه اللفظة في الاصل
٣) في الاصل: الثناف وهو تصحيف
٤) في الاصل: السليل وهو تصحيف

للبعير، وهو لذوات الحافر قرطاط وقرطان، والطنفسة ألتي فوق الرحل تسمّى النمرقة، والفتان غشاء يكون للرحل من أدم، والأرباض حبال الرحل، والخلال متاع الرحل.

ويقال من المراكب سوى الرحل الغبيط وهو المركب ألذي مثل أكف البخاتي، والقتب هو الصغير ألذي يكون على قدر سنام البعير، والحويّة كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب، والسويّة كساء تحشو بثمام أو ليف (103) ونحوه ثم يجعل على ظهر البعير وانما هو مركب الإماء وأهل الحاجة، والقرّ مركب للرجال بين الرحل والسرج، والكفل من مراكب الرجال كساء يؤخذ فيعقد طرفاه ثم يلقى مقدّمه على الكاهل ومؤخّره على عجز البعير يقال منه قد اكتفلت البعير، والحصار حقيبة تلقى على البعير ويرفع مؤخّرها فيجعل كآخرة الرحل ويحشى مقدّمها فيكون كقادمة الرحل يقال قد احتصرت(1 البعير، الحرج مركب للنساء والرجال ليس له رأس، والمشجر والمشجر للنساء دون الهودج، والكدن ما توطّى به المرأة هودجها وجمعه كدون، والظعينة جمعها ظعائن وظعن ثم اظعان وهي الهوادج كان فيها نساء أو لم يكن، والحمولة والحمول واحدها حمل وهي الهوادج أيضا كان فيها نساء أو لا. والهوادج هي مراكب مثل المحفّة الا أن الهودج مقبّب والمحفّة لا تقبّب، والحدج مثل المحفّة وجمعه احداج وحدوج، والوليّة البرذعة ويقال هو الذي يكون تحت البرذعة، والقرام وطاء

(1) وفي الاصل: احتضرت مصحّف

يكونُ المَشاجِرِ وجمعهُ قُومٌ مِثالُ فُعمٍ. الرِّجازُ مَراكِبُ أصغَرُ مِنَ الهَوادِجِ وَيُقالُ القِيَامُ الهَودَجُ الَّذي قد وُسِّع أسفَلُهُ ومنهُ قيلَ لِلرَّحلِ (١ مُقامٌ مِثالُ مُفعَمٍ، المَشاجِرُ عِيدانُ الهَودَجِ ويُقالُ مَراكِبُ دُونَ الهَودَجِ مَكشُوفُ الرَّأسِ. ويُقالُ لها أيضًا الشِّجارُ. والشِّجارُ أيضًا الخَشَبَةُ الَّتي تُوضَعُ خَلفَ البابِ يُقالُ لها بالفارِسِيَّةِ المِترَسُ. وكذلكَ الخَشَبَةُ الَّتي يُضَبَّبُ بِها السَّريرُ مِن تَحتِ الشِّجارِ. الحِلالُ مَراكِبُ النِّساءِ، والمِجعَلُ المَقلُوبُ (٢

وفي الرَّحلِ عَظمُهُ وهوَ خَشَبُ الرَّحلِ بلا أنساعٍ (٣ ولا أداةٍ، وجِلبُ الرَّحلِ عِيدانُهُ، وفيهِ حِزامُهُ، والعَراصِيفُ خَشَبتانِ تُشَدّانِ بَينَ واسِطِ الرَّحلِ وآخِرَتِهِ يَمينًا وشِمالًا. ويُقالُ العَراصِيفُ خَشَبٌ تُشَدُّ بِها رُؤُوسُ الأحناءِ وتُضَمُّ بِها وفيها الظَّلِفاتُ وهيَ الخَشَباتُ الأربعُ اللَّواتي يَكُنَّ على جَنبَيِ البَعيرِ. ويُقالُ لِأعلى الظَّلِفَتَينِ مِمّا يَلي العَراقِيَ العَضُدانِ وأسفَلُهُما الظَّلِفتانِ وهوَ ما سَفَلَ (٤ مِنَ الحِنوَينِ الواسِطِ والمُؤخِرَةِ. ويُقالُ لِلأدَمِ الَّتي تُضَمُّ بِها (٥ الظَّلِفتانِ ويُدخَلُ فيهِما أكرارٌ واحِدُها كُرٌّ والعَرقُوتانِ الخَشَبتانِ اللَّتانِ تَضُمّانِ ما بَينَ واسِطِ الرَّحلِ والمُؤخِرَةِ، ويُقالُ لِلأديمِ الَّذي يَضُمُّ العَرقُوَتَينِ مِن أعلاهُما وأسفَلِهِما صُفَّةٌ، والبِدادانِ في القَتَبِ بِمَنزِلَةِ الكَرِّ في الرَّحلِ غَيرَ أنَّ البِدادَينِ لا

١) في الاصل : للرَّجل . وهو غلط (راجع المخصَّص لابن سيده ٧ : ١٤٧)
٢) هنا قد وضع في الاصل ما يختصّ بالرَّحى وما فيها ثمَّ يعود المؤلف الى الرَّحل وادوائه فأخرنا مادَّة الرَّحى لئلَّا ينقسم الباب. ولعلَّ هذا الخلط من غلط النسَّاخ
٣) وفي الاصل اتساع وهو غلط
٤) صُحِّف الاصل بتنقُّل (اطلب المخصَّص ٧ : ١٤٠)
٥) ويروى : الادم الذي يُضَمُّ بهِ

يَظْهَرَانِ مِنْ قُدَّامِ الظَّلِفَةِ ، وَيُقَالُ لِأَحْنَاءِ الرَّحْلِ الْقَبَائِلُ . وَيُقَالُ لِلْحَدِيدَةِ
الَّتِي فَوْقَ الْمُؤْخِرَةِ النَّاشِبَةُ ، وَقَالَ بَعْضُهُم : هِيَ الدَّامِنَةُ ، وَيُقَالُ لِلْحَدِيدَةِ
الَّتِي تَضُمُّ مَا بَيْنَ الْقِبَلَتَيْنِ وَهُمَا الْحِنْوَانِ أَهِلَّةٌ وَاحِدُهَا هِلَالٌ ، وَيُقَالُ
لِلْقِدِّ الَّذِي يَضُمُّ الْعَرْقُوَتَيْنِ الْقِيدُ ، وَيُقَالُ لِلْقِدَّةِ الَّتِي تَضُمُّ الْعَرَاقِيفَ
خُنْكَةٌ وَحِبَالٌ ، وَيُقَالُ لِلْقِدِّ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ الْخُشُبُ الْإِسَارُ وَهِيَ
الْأُسُرُ ، فَإِنْ كَانَ فِي الرَّحْلِ كَسْرٌ فَرُقِعَ فَاسْمُ تِلْكَ الرُّقْعَةِ الرُّؤْبَةُ
(مَهْمُوزٌ) ، وَمِنَ الرِّحَالِ الْقَاتِرُ وَهُوَ الْجَيِّدُ الْوُقُوعِ (١ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ ،
وَالْمِعْقَرُ وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِوَاقٍ ، وَالْمِلْحَاحُ الَّذِي يَعَضُّ (٢ ، وَالْمِرْكَاحُ
(105) الَّذِي يَتَأَخَّرُ فَيَكُونُ مَرْكَبُ الرَّجُلِ فِيهِ عَلَى آخِرَةِ الرَّحْلِ
وَالذِّئْبَةُ فُرْجَةٌ مَا بَيْنَ دَفَّتَيِ الرَّحْلِ وَالسَّرْجِ وَالْغَبِيطِ أَيَّ ذَلِكَ
كَانَ ، وَالشَّرْخَانِ جَانِبَا الرَّحْلِ

(الرَّحَى وَمَا فِيهَا) اللُّهْوَةُ مَا أَلْقَيْتَ فِي الْحَجَرَيْنِ . يُقَالُ : أَلْهَيْتُ
الرَّحَى ، وَالرَّائِدُ الْعُودُ الَّذِي يَقْبِضُ عَلَيْهِ الطَّاحِنُ ، وَيُقَالُ : طَحَنْتُ
(104) بِالرَّحَى شَزْرًا وَهُوَ الَّذِي يَذْهَبُ بِيَدِهِ عَنْ يَمِينِهِ وَبَتًّا عَنْ يَسَارِهِ ،
الثِّفَالُ (٣ الْجِلْدُ الَّذِي يُبْسَطُ تَحْتَ الرَّحَى ، وَالْقُطْبُ الْقَائِمُ الَّذِي
تَدُورُ عَلَيْهِ الرَّحَى وَفِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ : قُطْبٌ وَقَطْبٌ وَقِطْبٌ

(الْأَبْنِيَةُ) مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْخِبَاءُ وَهُوَ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صُوفٍ وَلَا يَكُونُ مِنْ
شَعَرٍ ، وَالْبِجَادُ كِسَاءٌ ضَخْمٌ فِيهِ خُطُوطٌ يَصْلُحُ لِلْخِبَاءِ وَغَيْرِهِ ، وَالسَّبِيجُ
مِسْحٌ مُخَطَّطٌ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ يُسْتَرُ بِهِ وَيُفْتَرَشُ ، وَالْإِرَاضُ بِسَاطٌ

١) وفي مخصص ابن سيده (٧ : ١٤٣) : الوقوع
٢) وعبارة اللسان : الذي يعضّ على غارب البعير فيعقره
٣) قد صُحّف في الاصل بالسّفال

ضخم من وبر او صوف، والفليجة شقة من شقق لا ادري اين يكون، والكفاء الشقة التي تكون في مؤخر الخباء يقال منه اكفأت البيت، الردحة سترة في مؤخره ايضا يقال منه ردحت البيت واردحته، والحمار حجارة تنصب حول البيت واحدتها حمارة، ورواق البيت سماوته وهي الشقة التي دون العليا، والتحيزة طرة تنسج ثم تخاط على شقة الشقة التي تلي الارض، وهي المرقة ايضا، والخثر اكفة الشقاق كل واحد خثار، والكسر الشقة التي تلي الارض، والطوارف من الخباء ما رفعت من نواحيه لينظر الى خارج، والسجفان اللذان على الباب يقال منه بيت مسجف، والاصار الطنب وجمعه أصر (والآصر الحشيش المجتمع وجمعه أواصر ويقال الإصار وتد قصير للاطناب، والازرار خشبات يخرزن (١ في اعلى شقق الخباء واصول تلك الخشبات في الارض، والصقوب العمد التي يعمد بها البيت واحدها صقب، والبون التي دون ذلك (106) واحدها بوان، والخوالف التي في مؤخر البيت واحدها خالف، والظهرة ما في البيت من المتاع والثياب. والذي يوضع عليه يقال له المنجد وهي اعواد تربط كالمشجب. والنضد ما نضد من متاع البيت بعضه الى بعض، فاذا كان قليل المتاع قيل: بيت باه ومنه قيل: المعزى تبهي ولا تبني وذلك انها تصعد فوق البيت فتخرقه ولا تتخذ (٢ منه ابنية انما الابنية من الصوف والوبر. ويقال لذوات الصوف

١) وفي الاصل: تخرزن
٢) في الاصل تنجز. راجع المخصص (٦: ١٣)

إِنَّهَا تُبْنَى لِأَنَّهَا إِنْ مَكَّنَتْكَ مِنْ أَصْوَافِهَا فَقَدْ أَبْنَتْ. وَقَدْ أَبْنَيْتُهُ بَيْتًا إِذَا جَعَلْتَ لَهُ بَيْتًا. وَالْبَاهِي مِثْلُهُ. وَيُقَالُ: أَبْهُوا الْخَيْلَ أَيْ عَطِّلُوهَا فَلَا تَغْزُوا عَلَيْهَا. وَقَدْ أَبْهَيْتُهُ وَقَدْ أَبْهَى يُبْهِي. وَبَيْتٌ بَاهٍ لَا شَيْءَ فِيهِ. بَهِيَ الْبَيْتُ بَهَاءً انْخَرَقَ، وَيُقَالُ مِنَ الْخِبَاءِ: أَخْبَيْتُ إِخْبَاءً إِذَا عَمِلْتَهُ. وَتَخَبَّيْتُ أَيْضًا وَخَبَّيْتُ مِثْلُهُ، وَإِصَارُ بَيْتِي إِلَى إِصَارِ بَيْتِهِ وَهُوَ الطُّنُبُ، الشُّحُوبُ أَعْمِدَةٌ مِنْ أَعْمِدَةِ الْبَيْتِ، وَالْمِسْمَاكُ عُودٌ يَكُونُ فِي الْخِبَاءِ، وَالْبَاقُ الْفُسْطَاطُ، وَالسِّطَاعُ عَمُودُ الْبَيْتِ، وَالسُّرَادِقُ مَا أَحَاطَ بِالْبِنَاءِ، وَالْأَوَاخِيُّ الْأَطْنَابُ. وَاحِدَتُهَا آخِيَةٌ، وَمِنَ الْبِنَاءِ وَأَشْبَاهِهِ الْمُشَيَّدُ الْمُطَوَّلُ. وَالْمَشِيدُ الْمَعْمُولُ بِالشِّيدِ وَهُوَ الْجِصُّ وَكُلُّ شَيْءٍ طَلَيْتَ بِهِ الْحَائِطَ مِنْ بَلَاطٍ وَنَحْوِهِ. وَيُقَالُ الْمَشِيدُ بِالتَّخْفِيفِ لِلْوَاحِدِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ. وَالْمُشَيَّدَةُ لِلْجَمِيعِ. قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ (١، وَالْبَيْتُ الْمُحَرَّدُ الْمُسَنَّمُ الَّذِي يُسَمَّى الْكُوخَ. وَالْمُحَرَّدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْمُعْوَجُّ (107) وَيُقَالُ الْبِنَاءُ الطَّوِيلُ، وَالْبَيْتُ الْمُعَرَّسُ الَّذِي عُمِلَ لَهُ عَرْسٌ وَهُوَ حَائِطٌ يُجْعَلُ بَيْنَ حَائِطَيِ الْبَيْتِ لَا يُبْلَغُ بِهِ أَقْصَاهُ. ثُمَّ يُوضَعُ الْجَائِزُ مِنْ طَرَفِ الْعَرْسِ الدَّاخِلِ إِلَى أَقْصَى الْبَيْتِ وَيُسَقَّفُ الْبَيْتُ كُلُّهُ وَمَا كَانَ تَحْتَ الْجَائِزِ فَهُوَ الْمُخْدَعُ، وَالْجَائِزُ هُوَ الَّذِي يُسَمَّى بِالْفَارِسِيَّةِ التِّيرَ وَجَمْعُهُ جَوَائِزُ وَأَجْوِزَةٌ وَجُوزَانٌ، وَالْعَتَبَةُ أُسْكُفَّةُ الْبَابِ، وَالْعَانِفُ وَالطُّنُفُ السَّقِيفَةُ تُشْرَعُ فَوْقَ الْبَابِ، وَهِيَ الْكُنَّةُ وَجَمْعُهُ الْكُنَّاتُ، وَهِيَ السُّدَّةُ أَيْضًا وَسُدَّةُ الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مَا حَوْلَهُ مِنَ الرِّوَاقِ، وَهِيَ السَّقِيفَةُ، وَيُقَالُ السُّدَّةُ الْبَابُ نَفْسُهُ وَالْأَوَّلُ

١) هذه الفقرة مروية للكسائي في المخصص (٥: ١٢٢)

أَصَحّ ، الأَصِيدَةُ كالحَظِيرَةِ تُعمَلُ ، والوَصِيدُ الفِناءُ وقد أَصَدْتُ البابَ وأَوصَدْتُهُ إذا أَطبَقْتَهُ

والسَّافُ في البِناءِ صَفٌّ مِنَ اللَّبِنِ وأَهلُ الحِجازِ يُسَمُّونَهُ المِدْماكَ والسَّمِيطُ عِندَهُم القائِمُ الآجُرُّ القائِمُ بَعضُهُ فَوقَ بَعضٍ يُسَمِّيهِ الفُرسُ بِراسْتَق ، والمِلاطُ هُوَ الطِّينُ الَّذي يُجعَلُ بَينَ سافَي البِناءِ ، والمِطمَرُ الخَيطُ الَّذي يُقَدَّرُ بِهِ البِناءُ ويُسَمَّى الإِمامَ . والفُرسُ يُسَمِّيهِ الشَّزَّ ، وكُلُّ كُوَّةٍ لَيسَت بِنافِذَةٍ في الحائِطِ فَهِيَ مِشكاةٌ ، أَفواهُ الأَزِقَّةِ واحِدَتُها فُوهَةٌ مِثلُ حُمرَةٍ ولا يُقالُ فَمٌ ، والأَواسِي السَّوارِي واحِدَتُها آسِيَةٌ بِمِثالِ فاعِلَةٍ ، الدَّولَجُ السَّرَبُ ، والعَطَنُ : المَنزِلُ والوَطَنُ : الرَّبيعَةُ والدّارُ ، والعَقْرُ البِناءُ المُرتَفِعُ ، والفَدَنُ والمِجدَلُ والصَّرحُ والعَقلُ والمَعقِلُ كُلُّهُ القَصرُ ، العالَةُ (108) شَيءٌ شِبهُ الظُّلَّةِ يُستَتَرُ بِهِ مِنَ المَطَرِ يُقالُ : قَد عَوَّلتُ عالَةً ، الرَّوافِدُ خَشَباتُ السَّقفِ وقالَ :

رَوافِدُهُ أَكرَمُ الرّافِداتِ بَخٍ لَكَ بَخٍ لِبَحرٍ خِضَمّ

(يُقالُ في « بَخٍ » الجَزمُ والخَفضُ والتَّخفيفُ والتَّشديدُ) ، والإِطامُ والجَوسَقُ شِبهُ[1] الحِصنِ ، الكِلسُ مِثلُ الصّارُوجِ يُبنَى بِهِ ، والبَلاطُ الحِجارَةُ المَفروشَةُ يُقالُ دارٌ مُبَلَّطَةٌ ، والجَيّارُ الصّارُوجُ ، والرَّبعُ هُوَ الدّارُ بِعَينِها حَيثُ كانَت ، والمَرتَعُ المَنزِلُ في الرَّبيعِ خاصَّةً ، وبَحرُ الدّارِ وَسَطُها وعُقرُها أَصلُها في لُغَةِ الحِجازِيِّينَ . وأَمّا أَهلُ نَجدٍ فَيَقُولُونَ عَقرٌ . ومِنهُ قيلَ العَقارُ ، والعَقارُ المَنزِلُ والأَرضُ والضِّياعُ ، والمُنتَجَعُ المَنزِلُ في طَلَبِ الكَلإِ ، والمَحضَرُ المَرجِعُ إلى المِياهِ ، والحِلالُ جَماعاتُ بُيُوتِ النّاسِ ، ومِثلُهُ

---

١) في الاصل : بيت الحصن (المخصص ٥ : ١٢٦)

ٱلْحِوَاءُ، وَقَاعَةُ ٱلدَّارِ وَبَاحَتُهَا وَصَرْحَتُهَا وَمَـارِعَتُهَا وَسَاحَتُهَا وَاحِدٌ، وَكُلُّ جَوْبَةٍ (١ مُنْفَتِقَةٍ لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ فَهِيَ عَرْصَةٌ

وَٱلدَّوَادِي آثَارُ أَرَاجِيحِ ٱلصِّبْيَانِ . ٱلْوَاحِدَةُ دُوْدَاةٌ ، وَٱلْأَرَاجِيحُ أَنْ تُؤْخَذَ خَشَبَةٌ فَيُوضَعُ وَسَطُهَا عَلَى تَلٍّ ثُمَّ يَجْلِسُ غُلَامَـانِ عَلَى طَرَفَيْهَا فَتَمِيلُ بِهِمَا ، وَٱلزَّحَالِيفُ آثَارُ تَزَلُّجِ ٱلصِّبْيَـانِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلَ . وَاحِدَتُهَا زُحْلُوفَةٌ فِي لُغَةِ أَهْلِ ٱلْعَالِيَةِ . وَتَمِيمٌ تَقُولُ زَحَالِيقُ ، وَٱلْكِرْسُ ٱلْأَبْوَالُ وَٱلْأَبْعَارُ يَتَلَبَّدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَٱلدِّمْنُ مَا سَوَّدُوا مِنْ آثَارِ ٱلْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ . وَٱلدِّمْنُ ٱسْمُ ٱلْجِنْسِ مِثْلُ ٱلسِّدْرِ يُقَالُ سِدْرَةٌ وَسِدْرٌ . وَكَذٰلِكَ دِمْنَـةٌ وَدِمَنٌ لِلْجَمِيعِ وَدِمْنٌ أَيْضًا . وَٱلدِّمْنُ ٱلْبَعْرُ نَفْسُهُ ، وَٱلْوَأْلَةُ عَلَى مِثْلِ تَمْرَةٍ أَبْعَارُ ٱلْغَنَمِ (109) وَٱلْإِبِلِ وَأَبْعَارُهَا جَمِيعًا . يُقَالُ فِيهَا : قَدْ أَوْأَلَ ٱلْمَكَانُ فَهُوَ مُوءِلٌ

وَعَوَارُ ٱلدَّارِ مَا كَانَ مُمْتَدًّا مِنْهَا وَفِيهِ قَوْلُهُمْ : عَدَا طَوْرَهُ . وَلَا أَطُورُ بِهِ أَيْ لَا أَقْرَبُـهُ ، وَٱلطَّلَلُ مَا شَخَصَ مِنْ آثَارِ ٱلدَّارِ ، وَٱلرَّسْمُ مَا كَانَ لَاصِقًا بِٱلْأَرْضِ ، وَٱلْمَبَاءَةُ وَٱلْمَانُ وَٱلْمَغْنَى وَٱلْمَنْزِلُ ، وَٱلْمِحْلَالُ ٱلَّذِي يَحُلُّ بِهِ ٱلنَّاسُ ، وَهُوَ ٱلْمَرَبُّ (٢ ، وَٱلْمَظِنَّـةُ ٱلْمَنْزِلُ ٱلْمَعْلَمُ ، وَٱلْمَشَارِبُ ٱلْغُرَفُ . وَاحِدَتُهَا مَشْرَبَةٌ ، وَٱلْآسُ بَقِيَّةُ ٱلرَّمَـادِ بَيْنَ ٱلْأَثَافِي ، وَٱلضَّيْحُ (٣ ٱلرَّمَادُ ، وَٱلْخِيَمُ عِيدَانٌ تُبْنَى عَلَى ٱلْخِيَمِ ، وَٱلْآلُ ٱلشَّخْصُ ، وَٱلْعُنَّةُ حَظِيرَةٌ مِنْ خَشَبٍ تُجْعَـلُ لِلْإِبِلِ ، وَٱلْكَنِيفُ نَحْوُ ذٰلِكَ ، وَبِيضَةُ

١) وفي الاصل « جوبة » وهو تصحيف
٢) قد صُحِّفَ في الاصل بالمِرَق (المخصَّص ٥ : ١٩١)
٣) كذا في الاصل . وفي مخصَّص ابن سيدة (١١ : ٢٦) : الضَّيْحُ

الدَّارِ وَسَطُهَا وَبَيْضَةُ الْقَوْمِ وَسَطُهُمْ ، وَالْمَبَاءَةُ وَالسَّأْوُ (١ الْوَطَنُ ، وَالْإِيَادُ التُّرَابُ يُجْعَلُ حَوْلَ الْحَوْضِ وَالْخِبَاءِ

(الْقُدُورُ) وَمِنْ آلَةِ الْمَنَازِلِ الْقُدُورُ . فَمِنْهَا الْوَئِيَّةُ مِثَالُ فَعِيلَةٍ وَهِيَ الْقِدْرُ الْوَاسِعَةُ ، وَمِنْهَا قِدْرٌ جِمَاعٌ وَجَامِعَةٌ وَهِيَ الْعَظِيمَةُ ، وَقِدْرٌ دَمِيمٌ مَطْلِيَّةٌ بِدِمَامٍ ، وَقِدْرٌ أَعْشَارٌ مُتَكَسِّرَةٌ ، وَقِدْرٌ زُوَازِيَةٌ تَضُمُّ الْجَزُورَ ، وَالصِّيدَانُ بِرَامُ الْحِجَارَةِ . قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ :

وَسُودٌ مِنَ الصِّيدَانِ فِيهَا مَذَانِبُ

(يَعْنِي الْمَغَارِفَ) ، وَالصَّادُ قُدُورُ الصُّفْرِ وَالنُّحَاسِ ، وَالصَّيْدَاءُ حَجَرٌ أَبْيَضُ تُعْمَلُ مِنْهُ الْبِرَامُ . وَأَكْبَرُ الْبِرَامِ الْجِمَاعُ ، ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا الْمُشْكِلَةُ وَهِيَ الَّتِي يَسْتَخِفُّ الْحَيُّ أَنْ يَطْبُخُوا فِيهَا اللَّحْمَ ، وَالْمِسْخَنَةُ الَّتِي كَأَنَّهَا تَوْرٌ (٢ ، وَالْجِئَاوَةُ الشَّيْءُ الَّذِي تُوضَعُ عَلَيْهِ الْقِدْرُ إِنْ كَانَ جِلْدًا أَوْ خَصَفَةً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . وَهِيَ الْجِيَاءُ وَالْجِوَاءُ أَيْضًا ، وَالْجِعَالُ الْخِرْقَةُ الَّتِي تُنْزَلُ بِهَا الْقِدْرُ يُقَالُ مِنْهُ : أَجْعَلْتُ الْقِدْرَ إِجْعَالًا إِذَا أَنْزَلْتَهَا (110) بِالْجِعَالِ (وَكَذَلِكَ مِنَ الْجُعْلِ فِي الْعَطِيَّةِ أَجْعَلْتُ لَهُ بِالْأَلِفِ وَهِيَ الْجِعَالَةُ مِنَ الشَّيْءِ تَجْعَلُهُ لِلْإِنْسَانِ) ، وَالشَّكِيمُ مِنَ الْقِدْرِ عُرَاهَا ، وَالسُّخَامُ سَوَادُ الْقِدْرِ . وَمِنْهُ : سَخَّمْتُ وَجْهَهُ (وَأَمَّا الشَّعْرُ السُّخَامُ فَهُوَ اللَّيِّنُ الْحَسَنُ وَلَيْسَ هُوَ مِنَ السَّوَادِ . وَيُقَالُ لِلْخَمْرِ سُخَامٌ إِذَا كَانَتْ لَيِّنَةً سَلِسَةً) ، الْمِذْنَبُ الْمِغْرَفَةُ وَهِيَ الْمِقْدَحُ وَكُلُّ شَيْءٍ يُقْدَحُ بِهِ . وَالْقَدْحُ الْغَرْفُ

---

١) وفي الاصل : الشأو وهو تصحيف

٢) التَّوْرُ إناء صغير يُشرب فيه . وقد صُحِّفت لفظة المسخنة في الاصل بالمسحنة

وَمِنْ أَفْعَالِ ٱلْقِدْرِ أَرَتِ ٱلْقِدْرُ تَأْرِي أَرْيًا إِذَا ٱحْتَرَقَتْ وَلَصِقَ بِهَا ٱلشَّيْءُ، وَمِثْلُهُ شَاطَتِ ٱلْقِدْرُ تَشِيطُ وَأَشَطْتُهُ أَنَا إِشَاطَةً، وَقَرَرْتُ ٱلْقِدْرَ أَقُرُّهَا إِذَا فَرَّغْتَ مَا فِيهَا مِنَ ٱلطَّبِيخِ ثُمَّ صَبَبْتَ فِيهَا مَاءً بَارِدًا كَيْ لَا تَحْتَرِقَ. وَٱسْمُ ذٰلِكَ ٱلْمَاءِ ٱلْقَرَارَةُ وَٱلْقُرَرَةُ عَنِ ٱلْكِسَائِيِّ. وَرَوَى ٱلْفَرَّاءُ عَنْهُ (١ :هِيَ ٱلْقُرَرَةُ، كَتَّتِ ٱلْقِـدْرُ تَكِتُّ كَتِيتًا إِذَا غَلَتْ وَكَذٰلِكَ ٱلْجَرَّةُ وَغَيْرُهَا، فَإِذَا حَانَ أَنْ تُدْرِكَ قِيـلَ: ضَرَعَتْ تَضْرِيعًا، وَٱلْحُمَمُ ٱلْفَحْمُ، وَٱلْعُقْبَـةُ ٱلشَّيْءُ مِنَ ٱلْمَرَقِ يَرُدُّهُ مُسْتَعِيرُ ٱلْقِدْرِ إِلَى صَاحِبِهَا، وَهُوَ ٱلْعَافِي وَٱلْعِفَاوَةُ (٢، وَٱنْتَزَّتِ ٱلْقِدْرُ ٱنْتِزَازًا فَهِيَ مُوَتِّرَةٌ إِذَا ٱشْتَدَّ غَلَيَانُهَا، وَٱلْقَدِيرُ ٱلطَّبِيخُ

وَمِنَ ٱلْآنِيَةِ ٱلْغُمَرُ وَهُوَ ٱلْقَدَحُ ٱلصَّغِيرُ، ثُمَّ ٱلْعُسُّ أَكْبَرُ مِنْهُ، ثُمَّ ٱللَّحْنُ أَكْبَرُ مِنْهُ، ثُمَّ ٱلتِّبْنُ أَكْبَرُهَا، وَٱلْمِصْحَاةُ إِنَاءٌ مِثْلُ ٱلْقَدَحِ وَٱلْقَصْعَةُ ٱلْجَفْنَةُ. وَٱلرِّفْدُ ٱلْقَدَحُ، وَٱلْمَنْجُوبُ ٱلْوَاسِعُ ٱلْجَوْفِ، وَإِنَاءٌ طَفَّانُ (٣ وَهُوَ ٱلَّذِي بَلَغَ ٱلْكَيْلُ طَفَافَهُ (١١١)، وَجَمَّانُ بَلَغَ نِصْفَهُ، وَشَطْرَانُ بَلَغَ شَطْرَهُ وَهُوَ ٱلنِّصْفُ، وَقَرْبَانُ إِذَا قَرُبَ أَنْ يَمْتَلِيَ أَوْ قَرُبَ مِنْهُ، وَقَعْرَانُ فِي قَعْرِهِ شَيْءٌ، وَنَهْدَانُ (وَٱلْمُؤَنَّثُ مِنْ هٰـذَا كُلِّهِ فَعْلَى). وَقَدْ أَجْمَمْتُ ٱلْإِنَاءَ وَأَطْفَفْتُهُ وَأَنْهَدْتُهُ وَأَقْرَبْتُهُ جِمَامَةٌ وَطَفَافَةٌ وَجُمَّةٌ وَطَفَفَةٌ وَقِرَابَةٌ، وَٱلتَّامُورَةُ ٱلْإِبْرِيقُ، وَٱلتِّبْنُ أَعْظَمُ ٱلْأَقْدَاحِ يَكَادُ يُرْوِي عِشْرِينَ، وَٱلصَّحْنُ مُقَـارِبٌ، ثُمَّ ٱلْعُسُّ

---

١) مسخ الناسخ هذه العبارة فكتب: وروى الفراعنهٔ
٢) وكلّ هذه الالفاظ مصحفة في الاصل فكُتب العقبة والباقي والعتاوة
٣) وفي نسختنا كنّان وهو تصحيف

يَرْوِي ٱلثَّلَاثَةَ وَٱلْأَرْبَعَةَ ، ثُمَّ ٱلْقَدَحُ يَرْوِي ٱلرَّجُلَيْنِ وَلَيْسَ لِذٰلِكَ وَقْتٌ ، ثُمَّ ٱلْقَعْبُ يَرْوِي ٱلرَّجُلَ ، ثُمَّ ٱلْغُمَرُ ، وَٱلنَّاجُودُ كُلُّ إِنَاءٍ يُجْعَلُ فِيهِ ٱلشَّرَابُ فِي جَفْنَةٍ أَوْ غَيْرِهَا ، وَٱلرَّاوُوقُ ٱلْمِصْفَاةُ ، وَأَعْظَمُ ٱلْقِصَاعِ ٱلْجَفْنَةُ ، ثُمَّ ٱلْقَصْعَةُ تَلِيهَا تُشْبِعُ ٱلْخَمْسَةَ وَنَحْوَهُمْ ، وَٱلْمِئْكَلَةُ تُشْبِعُ ٱلرَّجُلَيْنِ وَٱلثَّلَاثَةَ ، ثُمَّ ٱلصَّحِيفَةُ تُشْبِعُ ٱلرَّجُلَ

ثُمَّ ٱلْمِيزَانُ فِيهِ ٱلسَّعْدَانَاتُ وَهِيَ ٱلْعُقَدُ ٱلَّتِي فِي أَسْفَلِ ٱلْمِيزَانِ ، وَٱلْكِظَامَةُ وَٱلْحَلْقَةُ ٱلَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا ٱلْخُيُوطُ فِي طَرَفَيِ ٱلْمِنْجَمِ ، وَيُقَالُ لِمَا يَكْتَنِفُ ٱللِّسَانَ ٱلْفِيَارَانِ ٱلْوَاحِدُ فِيَارٌ ، وَٱلْعَذَبَةُ ٱلْخَيْطُ ٱلَّذِي يُرْفَعُ بِهِ ٱلْمِيزَانُ ، وَٱلْمِنْجَمُ ٱلْحَدِيدَةُ ٱلْمُعْتَرِضَةُ ٱلطَّوِيلَةُ

(أَدَوَاتُ مَا يُعْمَلُ فِي ٱلْحَفْرِ) ٱلْحَدَأَةُ ٱلْفَأْسُ ذَاتُ رَأْسَيْنِ وَجَمْعُهَا حَدَأٌ (مَقْصُورٌ) قَالَ « كَٱلْحَدَإِ ٱلْوَقِيعِ » أَيِ ٱلْمُحَدَّدِ ، فَإِذَا كَانَ لَهَا رَأْسٌ وَاحِدٌ فَهِيَ فَأْسٌ ، وَهُوَ ٱلْكَرْزَنُ أَيْضًا (وَيُكْسَرُ أَيْضًا ٱلْكِرْزِنُ) وَيُقَالُ ٱلْكِرْزِينُ فَأْسٌ لَيْسَ لَهَا حَدٌّ نَحْوُ ٱلْمِطْرَقَةِ ، وَهُوَ ٱلْكِرْزِيمُ أَيْضًا ، ٱلصَّاقُورُ ٱلْفَأْسُ ٱلْعَظِيمَةُ ٱلَّتِي لَهَا رَأْسٌ وَاحِدٌ دَقِيقٌ يُكْسَرُ بِهِ
(112) ٱلْحِجَارَةُ ، ٱلْمِعْوَلُ ٱلْحَدِيدَةُ تُجْعَلُ فِي ٱلسَّوْطِ فَيَكُونُ لَهَا غِلَافًا ، ٱلْمِقْلَدُ ٱلْمِنْجَلُ ، وَٱلْعَلَاةُ ٱلسَّنْدَانُ ، وَٱلْعَتَلَةُ ٱلْبَيْرَمُ

يُقَالُ مِن كَنْسِ ٱلْبَيْتِ : سَفَرْتُ ٱلْبَيْتَ أَسْفِرُهُ سَفْرًا ، وَحُقْتُهُ أَحُوقُهُ حَوْقًا كَنَسْتُهُ . وَٱلْمِحْوَقَةُ وَٱلْمِسْفَرَةُ ٱلْمِكْنَسَةُ ، وَإِذَا دَقَقْتَ ٱلْحَبَّ قُلْتَ : أَجْشَشْتُ ٱلْحَبَّ إِجْشَاشًا أَيْ دَقَقْتُهُ . وَٱلْمِنْجَنَةُ ٱلْمِدَقَّةُ وَجَمْعُهَا مَنَاجِنُ . أَنْشَدَ ٱلْمُفَضَّلُ لِعَامِرِ بْنِ ٱلطُّفَيْلِ ٱلسَّعْدِيِّ (جَاهِلِيٌّ):

رِقَابٌ كَٱلْمَوَاجِنِ خَاظِيَاتٌ وَأَسْنِمَةٌ عَلَى ٱلْأَكْوَارِ كُومُ

(اي كثيرات اللحم يقال خظا لحمه وبظا اي اشتد) ، بيزر القصار الذي يدق به

ومن ادوات النساج المنوال وهو الخشبة التي يلف الحائك عليها الثوب وهو النول وجمعه انوال ، ويقال لها الحفة ، والذي يقال له الحف هو المنسج ولا يقال الحف في شيء من هذا ، والمخط العود الذي يخط الحائك به الثوب ، الوشيمة القصبة التي يجعل النساج فيها لحمة الثوب للنسج

السكين الكبير يسمى الصلت وجمعه اصلات ، والرميض السكين الحديد وهي الشديدة الحد ، والجزاة نصاب السكين والمنثرة . وقد اجزأتها اجزاء وانصبتها انصابا جعلت لها نصابا وجزاة وهما عجز السكين ، واقربتها جعلت لها قرابا ، واغلفتها جعلت لها غلافا ، واشعرتها جعلت لها شعيرة واقبضتها جعلت لها (113) مقبضا ، جلزت السكين والسوط اذا حزمت مقبضه بعلباء البعير . واسم ذلك الشيء الجلاز . فان فعلت ذلك بالسيف قلت علبته اعلبه علبا ، والسيلان في السيف والسكين حديدته التي تدخل في النصاب

وفي احداد الحديدة تقول : وقعت الحديدة بالميقعة اقعها وقعا اذا حددتها بين حجرين ومثله رمضتها ، طررتها اطرها طرورا ، وذربتها ذربا فهي مذروبة احددتها ، والمدلك المحدد طرفه ، والمذلق مثله ، والمؤنف نحوه ، والمرهف المرقق ، والمسنون المحدد وقد سننته ، والذرب من كل شيء حده . والمسن الحجر الذي يسن عليه وهو السنان ايضا قال امرؤ القيس :

كحدِّ السِّنانِ الصُّلَّبيِّ النَّحيضِ

وَالخِضَمُّ اليَسَنُّ قال :

عَلَى خِضَمٍّ يُسْقَى المَاءَ عَجَّاجِ

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

المستشرقون الاوربيُّون في هذا الطور

(الفرنسويين) بقي السبق في درس اللغات الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً للعلماء الفرنسويين في هذا الطور الثالث الذي بلغنا اليهِ في سياق تاريخنا للآداب العربيَّة. وكان تلامذة العلّامة دي ساسي يمشون على آثار معلمهم فيخوضون بحر الآداب الشرقيَّة ويستخرجون من اغوارها اللآلئ. الفريدة فينظمونها قلائد تزيد يوماً بعد آخر ثمناً وفخراً وها نحن نذكر بعض الذين وقفنا على اخبارهم وهي الى اليوم متفرقة لم تُجمع في سفر خاص

فنهم فلجانس فرنيل (F. Fresnel) ولد سنة ١٧٦٥ وانقطع في شبابه الى درس اللغات الشرقيَّة حتى ارسلتهُ حكومتهُ سنة ١٨٣٧ الى جدَّة وتعيَّن هناك بصفة قنصل لدولتهِ . وفي سنة ١٨٥٢ توجَّهت انظار العلماء الى خرائب بابل فتشكَّلت بعثة علميَّة وكلت فرنسة نظارتها الى فرنيل لما عهدت فيهِ من الاهليَّة فسافر الى بغداد وقام باعباء مهمَّتهِ بنشاط مدَّة ثلاث سنوات وكانت وفاتهُ في حاضرة العراق سنة ١٨٥٥ وقد خلَّف فرنيل عدَّة آثار تدلُّ على سعة معارفهِ منها ترجمة لاميَّة العرب للشنفري ومنها رسائل واسعة في تاريخ العرب في ايام الجاهليَّة ولهُ ايضاً مقالات أُخرى مفيدة في الكتابات الحميريَّة التي وُجدت في جهات اليمن .

واشهر منهُ رجلٌ همام وعالم عامل جارى في فضلهِ امام عصره العلامة دي ساسي نُريد بهِ اتيان كاترمار (Et. Quatremère) كان سليل اسرة شريفة كثر فيها الادباء والعلماء واصحاب السيف والقلم وزادها هو باعمالهِ شهرةً . وُلد اتيان في باريس

في ١٢ تموز سنة ١٧٨٢ وتخرَّج منذ حداثة سنّهِ في العلوم الشرقيَّة على دي ساسي الومأ اليهِ . واستحقَّ بفضلهِ ان يدخل في جملة نظّار المكتبة العموميَّة ومخطوطاتها الثمينة ثمَّ تولَّى التدريس في المدارس العليا قبل ان يبلغ العشرين من سنّهِ وفي السنة ١٨١٥ نظمهُ مجمع فرنسة العلميّ في سلك اعضائهِ ثمَّ ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغات العبرانيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والفارسيَّة في مدارسها الخاصة فاحرز لهُ في تعليمها شهرة عظيمة حتَّى أضحى بعد وفاة دي ساسي نسيج وحدهِ في كلّ العلوم الشرقيَّة الى سنة وفاتهِ في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٧ . ومن يطَّلع على تآليف هذا الرجل القدام يقضي منهُ العجب لأنَّهُ خلَّف بعدهُ نيفًا ومئة كتاب في كلّ ابواب الفنون الشرقيَّة وكلّ اللغات الساميَّة وغيرها وقد اودع كلّ هذه المصنَّفات كنوزًا من المعارف يتحيَّر لها عقل المطالعين . امَّا تآليفهُ العربية فعديدة ونهاية في الحسن والضبط منها ترجمةُ لتاريخ المماليك في مصر للمقريزي في اربعة اجزاء وحواشٍ ضافية . ولهُ مجلدان في مبهمات تاريخيَّة وجغرافية مصريَّة وتآليف عن النبطيين ومآثرهم . ومن مطبوعاتهِ العربية نشره لمقدمة ابن خلدون في ثلثة اقسام ومنتخبات من امثال الميداني وكتاب الروضتين ومقالات مشبَّعة في جغرافيي العرب وفي مؤرّخيهم وفي عادات اهل البادية ولهُ في التركية ترجمة تاريخ المغول لرشيد الدين في مجلَّد ضخم آيةً في حسن الطبع . وقد ألف كتبًا عديدة في آثار القبط والبابليين والهند والسامرة والافريقيين والعبرانيين ومجمل القول لم يدع فنًّا الاصنَّف فيهِ كتبًا تُعدُّ الى يومنا معادن ثمينة غنيَّة بمضامينها العلميَّة

ومن تلامذة دي ساسي المعدودين غرانجره دي لاغرانج (J-B. Grangeret de la Grange) ولد سنة ١٧٩٠ واحكم درس العربيَّة والفارسية فوكلت اليهِ دولتهُ سنة ١٨٣٠ تصحيح الطبوعات الشرقيَّة في مطبعتها العمومية فقام بالعمل القيام المشكور . وتوفّي سنة ١٨٥٩ وقد ابقى من الآثار مجموعًا في النظم والنثر نقلهُ الى الافرنسية ولهُ منتخبات من شعر المتنبي وابن الفارض علَّق عليها الحواشي وترجمها . وقد صنَّف كتابًا في تاريخ العرب في الاندلس ودافع عن محاسن الشعر العربي

واشتهر في هذا الوقت نوال دي فرجه (Noel des Vergers) بين المستشرقين الفرنسويين وكان مولدهُ سنة ١٨٠٥ ووفاتهُ في كانون الثاني سنة ١٨٦٧ نشر عدَّة تآليف شرقية كقسم من تاريخ ابي الفداء وتاريخ بني اغلب لابن خلدون ولهُ تاريخ

افرنسي في عرب الجاهلية اختصرهُ عن تاريخ معلّمهِ دي برسفال واضاف اليهِ مختصر تاريخ الخلفاء الى عهد المغول. وهو من التآليف المفيدة وكان ضليعاً بالمعارف الشرقية يلتجىء اليهِ العلماء في مشاكلهم

وفي سنة وفاة دي فرجه توفي مستشرق آخر ذائع الشهرة جوزف رينو (J. T. Reinaud) المولود في ٤ كانون الاول سنة ١٧٩٥ والمتوفى في ١٤ أيار سنة ١٨٦٧ كان ايضاً من تلامذة دي ساسي وانكبَّ على مثال استاذه على درس آثار الشرق ولغاتهِ وكان احد حفَظة خزانة المخطوطات الشرقية في باريس فاستقى من تلك المناهل الطيّبة ما شاء. وفي سنة ١٨٣٨ بعد وفاة دي ساسي تولّى تدريس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة ثمّ رُئّس عليها سنة ١٨٦٤ وبقي في وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ. وللعلامة رينو منشورات جليلة منها في الآثار الشرقية كوصفهِ لمتحف الكنت دي بلاكاس في جلدين وهو سفر خطير في تعريف العاديّات الاسلامية. واشتغل بتاريخ الشرق فنقل الى الفرنسويّة معظم ما كتبهُ العرب في الحروب الصليبية وترجم رحلة تاجرين عربيين الى الصين تدعى سلسلة التواريخ ونشر كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ونقلهُ الى الافرنسية وزيّنهُ بالمقدّمات الاثيرة والحواشي. ولهُ ما خلا ذلك عدّة مقالات لغويّة وتاريخية في العرب وغيرهم من شعوب الشرق يطول تعدادها وفي ما سبق ما ينبىء بفضلهِ الواسع

وفي السنة ١٨٦٧ توفي مستشرق ثالث فرنسوي موسويّ الدين وهو سليمان مُنك (S. Munk) وُلد في بلاد بروسيا سنة ١٨٠٣ وتخرّج بالآداب العبرانية على بعض الربّانيين في بلدهِ ثمّ جاء فرنسة سنة ١٨٢٨ وتجنّس بالجنسيّة الفرنسويّة وحضر دروس دي ساسي وكاترمار فتعلّم العربيّة والفارسية والسنسكريتية وبرع فيها وتجوّل مدّة في القطر المصري مع الوزير كريميو. ثمّ تفرّغ للكتابة والتعليم وقصدتهُ التلامذة ليدرسوا عليهِ العبرانية. وقد أُصيب في آخر عمرهِ ببصرهِ فلم ينقطع عن التأليف والاملاء على الكتبة وهو في هذه الحالة عشرين سنة. ولهُ عدّة تآليف في العبرانية والعربية والفارسية في تاريخ الشرق نخصّ منها بالذكر تاريخ فلسطين وكتابات شتّى في الشعر العربي والشعر العبراني ونشر مصنّفات بعض فلاسفة اليهود في العربية والعبرانية وترجمها الى الفرنسويّة كدليل الحائرين لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول وكتب ايضاً في

فلسفة الهنود والعرب . وقد نقل الى الفرنسويَّة مقامات الحريري . ومن مصنَّفاته ايضاً مقالات عديدة في آداب الفينيقيين وشرح كتاباتهم المكتشفة في سواحل الشام

واشتهر في الجزائر مستشرق فرنسوي من تلامذة دي ساسي ايضاً وهو لويس جاك برنيه (L. J. Bresnier) وُلد في فرنسة سنة ١٨١٤ وتوفي في الجزائر في ٢١ حزيران ١٨٦٩ كان درس على كبار المستشرقين الفرنسويين منذ حداثة سنه فخلقهم في نشاطهم وعلمهم . وقد علَّم اللغة العربية في حاضرة الجزائر ٣٣ سنة بهمة عظيمة شكر تلامذته . ومن ثمار اجتهاده عدَّة مطبوعات عربية مدرسية نشرها في فرنسة والجزائر مهَّدت الطريق لكثيرين لدرس العربية الفصيحة واللغة الشائعة في بلاد الجزائر فمن تآليفه شرح اصول العربية من صرف ونحو وعروض وله ابحاث في اللغة العاميَّة ومجاميع عربيَّة مختلفة مع ترجمتها الى الافرنسية واعتنى ايضاً بالخط العربي وتعليمه . ومن آثاره ترجمة للاجرومية مع تعليقات عليها

وفي زمن المسيو برنيه خدم الآداب العربية معلّم آخر وهو المعلم كُنباريل (E. Combarel) نشر ايضاً عدَّة مطبوعات مدرسية لتعليم العربية في الجزائر بين السنتين ١٨٤٥ و١٨٦٥ ولم نعرف سنة وفاته

وكذلك عُرف بين المستشرقين العلامة بيبرستين كازمرسكي (B. Kazimirski) الذي ولد في بولونيا واستوطن فرنسة ونشر فيها مطبوعات شرقية مفيدة اخصُّها معجمهُ للغتين العربية والفرنسويَّة الذي جُدّد طبعهُ في مصر بعد طبعته الباريزيَّة في مجلَّدين ضخمين . وقد نقل المصحف الى الفرنسويَّة وترجمتهُ معروفة بدقَّتها وسلاستها . مات نحو السنة ١٨٧٠

وممن لم نهتدِ الى سنة وفاته من المستشرقين الفرنسويين والشهير بآثاره العربية المسيو بارُّون (A. Perron) نشر تآليف جمَّة ونقلها الى الفرنسويَّة ففي سنة ١٨٣٢ ألَّف كتاباً في اصول اللغة العربيَّة وطبعهُ على الحجر ثمَّ نشر مقالات مفيدة في بعض مشاهير العرب كطرفة والمتلمّس وعنترة ونقل طرفاً من اشعارهم الى لغته ونقل ايضاً كتاب سيف التيجان ورحلة محمَّد التونسي الى الدرفور وكتاب الطبّ النبويّ وكتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصري لابي بكر ابن بدر في مجلَّدين وكتاب ميزان الخضريَّة للشعرانيّ في الفقه والمختصر في الفقه لخليل بن اسحاق المالكيّ في سبعة

مجلّدات انتهى من طبعهِ سنة ١٨٥٤ بعد ست سنوات وعلّق عليهِ تعليقات واسعة

ونضيف الى هؤلاء المشاهير من الفرنسويين الاستاذ كليمان موله (J. J. Clément-Mullet) الذي ادّى للمستشرقين خدماً مشكورة بابحاثهِ عن الزراعة عند العرب ومن آثاره الباقية ترجمة الفرنسويّة لكتاب الفلاحة للشيخ ابي زكريّا يحيى الاشبيلي المعروف بابن العوّام . وكان الاصل العربي قد طُبع في مجريط سنة ١٨٠٢ فنقلهُ المسيو موله في مجلّدين وعلّق عليهِ التعليقات الخطيرة . ولهُ ايضاً في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة مقالات متّسعة في المواليد الطبيعيّة عند العرب واصطلاحاتهم . توفي المسيو موله سنة ١٨٧٠

(الالمانيون) تقدّمت الدروس العربيّة في المانية في هذه المدّة بهمّة بعض الافاضل الذين اصبحوا اسوةً لاهل بلادهم

ويستحقُّ السبق على جميع مواطنيهِ جرج وليلم فريتاغ ولد سنة ١٧٨٨ وتوفي في تشرين الثاني من السنة ١٨٦١ وكان مثالًا للعزم والثبات فكلف بالآداب العربيّة ودرس اللغات الشرقية في باريس على فخر زمانهِ دي ساسي فاتقنها وعُهد اليهِ تعليمها في كلية بونّة سنة ١٨١٩ فلم يزل مذ ذاك الوقت الى سنة وفاتهِ يفرغ كنانة مجهودهِ في نشر الآثار العربيّة منها قاموسهُ العربي اللاتيني في اربعة مجلّدات ضخمة الّفهُ بسبع سنوات وكان يواصل الدرس كل يوم احدى عشرة ساعة لا يكاد يأخذ فيها راحة ثمّ اختصر ذلك المعجم . وقد نشر لاوّل مرّة كتاب حماسة ابي تمّام مع شروح التبريزي ونقلها كلها الى اللاتينية . ونشر كتاب عبد اللطيف البغدادي في وصف مصر وقسماً من تاريخ حلب لكمال الدين وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه . وقد نقل كل هذه الآثار الى اللاتينية وحشّاها بالحواشي المفيدة . ومن مآثره الجليلة امثال الميداني في اربعة مجلّدات نشرها وترجمها واضاف اليها الفهارس مع الملحقات العجيبة في كلّ ما كتبهُ العرب عن الامثال . ولهُ كتاب واسع في فنّ العروض بالالمانيّة ومنتخبات شتّى بالنثر والنظم وقد بقي اسمهُ الى يومنا هذا بين مواطنيهِ كمثال حيّ للحزم والنشاط

ومن افاضل الالمان الذين خلّدوا لهم ذكراً طيّباً في هذا الزمان جان غدفريد كوسغارتن (J. G. Kosegarten) ولد في بروسيا سنة ١٧٩٢ ودرس العلوم في مدرسة غريفسڤالد الشهيرة ثمّ تعشّق اللغة العربية فارسلهُ ابوهُ ليروي غليله منها بالدرس

على الاستاذ دي ساسي محور العلوم الشرقية في زمانهِ فتلقَّن اللغة العربيـة ثمَّ درس التركية والفارسية والارمنية واستنسخ قسماً من مخطوطات باريس ولم يلبث ان نشر في بلده منها طرفاً استوقفت انظار اهل وطنه فدعاه اصحاب الامر الى تدريس اللغات الشرقية في غريسڤالد وبقي في منصبهِ الى وفاتهِ منقطعاً الى نشر التآليف المهمَّة اخصُّها غراماطيق اللغة العربية في اللاتينية ثمَّ قسمٌ من شعر الهذليين طبعهُ في لندن وكذلك نشر مجلَّداً من كتاب الاغاني لابي الفرج ونقلهُ الى اللاتينية وزيَّنهُ بالمقدَّمات والشروح ونشر ايضاً مجلَّدين من تاريخ الطبري مع ترجمتها وطبع معلَّقة عمرو بن كلثوم وذيَّلها بالملحوظات المفيدة ولهُ غير ذلك من الآثار العربية والسنسكريتية والهيروغليفية

وليس دون السابقَيْن همَّةً ونشاطاً واتساعاً في التأليف وطنيُّهما غستاف فلوغل (G. Flügel) ولد سنة ١٨٠٢ في بلاد سكسونيا ودرس في ليبسك على مشاهير علمائها واخذ عن بعضهم مبادئ اللغات الشرقيَّة ثمَّ سافر الى ڤينا وبقي سنتين ينعم النظر في مخطوطات مكتبتها الشهيرة ثمَّ تجوَّل في عواصم اوربَّة الى ان احتلَّ باريس سنة ١٨٢٩ وسمع معلِّميها ودرس مخطوطاتها الشرقية ثمَّ عاد الى بلادهِ فتولَّى التدريس في معاهدها العلمية مدَّةً وصار لهُ نفوذ كبير عند امراء وطنهِ الذين عهدوا اليهِ عديدة استوفى شروطها وهي تبلغ نحو خمسين مجلَّدًا منها كتاب كشف الظنون ... طبعًا في سبعة مجلَّدات ضخمة مع ترجمتها الى اللاتينيَّة وفهارسها الواسعة وملحقاتها الخطيرة ومنها وصف مخطوطات ڤينا العربية في ثلاثة مجلَّدات ونشر عدَّة كتب قديمة مع ترجمتها مثل كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي وتعريفات الجرجاني ونجوم الفرقان وهو بديع في بابهِ ولهُ تآليف أُخرى في فلاسفة العرب ونُحاتهم وتَعَلُّمهم ونشر كتاب الفهرست لابن النديم وهو من انفس ما كتبهُ القدماء . وصنَّف تاريخًا موسَّعًا للعرب في ثلاثة مجلَّدات فكل هذه المصنَّفات ممَّا يدهش العقل لسعة علم كاتبها الذي يُعـد من اكبر المستشرقين واغزرهم فضلًا . كانت وفاتهُ سنة ١٨٧٠

وممن برزوا في هذا الزمان في درس كتب العرب الرياضية والجبريَّة الالماني فرانس وابك (Fr. Woepcke) ولد في بلدة قريبـة من ليبسك سنة ١٨٢٦ ودرس في ويتنبرج ثمَّ رحل الى برلين وتفرَّغ لدرس الرياضيات وفي سنة ١٨٤٨ التقى بالمستشرق الشهير فريتاغ في بونة فعلَّمهُ العربية وفتح لهُ بابًا لدرس آثار العرب في الحساب والمقابلة

والجبر والهندسة والهيئة فخصّص مذ ذاك الحين نفسهُ لاحياء دفائنها فنشر رسالة ابي الفتح عمر ابن ابراهيم الخيّامي في الجبر والمقابلة وكتاب الفخري فيهما لابي حسن الكرخي وتفسير مقالة اوقليدوس العاشرة في الأعظام النطقة والصمّ لابي عثمان الدمشقي وقد كتب نيفًا وخمسين مقالة في كلّ الفنون الرياضية عند العرب نشرها في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة وفي المجلات العلمية في برلين وروميّة وباريس و بطرسبرج وكان اذا نشر اثرًا ما قديمًا نقلهُ الى اللغات الاوربية وعلق عليه التعليقات الخطيرة حتى اصبح اماماً في هذه الفنون يُشار اليهِ بكل بنان. وكانت ادّت بهِ دروسهُ الى البحث في العلوم الرياضية عند الهنود وقدماء اليونان وارباب القرون الوسطى فقابل بينها وبين آثار العرب وقد فاجأهُ الموت في ٢٥ اذار من السنة ١٨٦٤ وهو في منتصف العمر

وقد اشتهر غير هؤلاء ايضاً بين مستشرقي الالمان وان لم يبلغوا شأوهم منهم جرج هنري برنستين (G. H. Bernstein) صنّف كتابًا في نحو العربية ونشر بعض الآثار القديمة منها قصيدة لصفي الدين الحلي مع ترجمتها وشرحها ومنها كتاب في مبادئ واصول الاديان المتفرّقة في الشرق . وكانت شهرتهُ في معرفة السريانية اكثر منها في العربية وقد علّم تلك اللغة في برسلو ولهُ فيها عدّة مطبوعات . توفي في برنستين سنة ١٨٦٠ وعمرهُ ٧٣ سنة

ومنهم جان اوغست فولرس (J. A. Vullers) احد تلامذة دي ساسي وكاترمار وفريتاغ ولد في المانية سنة ١٨٠٣ وكانت وفاتهُ نحو السنة ١٨٧٠ علّم اللغات الشرقية في كلية غيسن . وقد برّز فولرس خصوصاً في اللغة الفارسية فنشر معجماً فارسياً لاتينيًا يُعدّ من اتقن المعاجم وابرز عدّة آثار لمؤرخي العجم وشعرائهم . وكان عالمًا باللغة العربية نشر معلّقتي الحارث بن الحلزة وطرفة مع شروح الزوزنيّ عليها ونقلها الى اللاتينية وصنّف ايضاً كتابًا في اصول لغة العرب

ومنهم ايضاً فرنس اوغست ارنلد (F.A. Arnold) اشتهر بين اساتذة مدرسة هال في المانية ولهُ مجموعة حسنة من تآليف العرب لطلبة المدارس الشرقية في جلدين طُبعت سنة ١٨٥٣ ونقلها اليوم في القدس الى لغتهم فجدّدوا طبعها بيئة استيفان الناسادس سنة ١٨٨٥ وكان سبق قبل ذلك ونشر سنة ١٨٣٦ معلّقة امرئ القيس

ونقلها الى اللاتينية وذيّلها بالشروح . ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومنهم ايضًا الدكتور جان غدفريد وتستين (J. G. Wetzstein) أقام مدّةً في دمشق بصفة قنصل دولتهِ وعُني بدرس اللغات الشرقيّة وجمع عدّة مخطوطات وصفها وصفًا حسنًا وارسلها الى برلين وقد كتب تفاصيل رحلتهِ الى جهات حوران وبادية الشام ومن مطبوعاتهِ كتاب مقدّمة الادب لجار الله الزمخشري طبعهُ في ليبسيك على الحجر سنة ١٨٥٠ ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومنهم ايضًا هنري جوزف ڤتزر (H. J. Wetzer) ولد سنة ١٨٠١ ودرس اللغات الشرقيّة على علماء زمانهِ في المانية وفرنسة ولا سيما دي ساسي وكاترمار ثم درّس اللغات الشرقيّة في كلية فريبورج الكاثوليكية فاصاب لهُ فيها ذكرًا طيبًا وقصدتهُ الطلبة من انحاء البلاد وهو اوّل من نشر مقالة المقريزي في نصارى الاقباط وترجمها الى اللاتينيّة ولهُ آثار أخرى في العلوم الكتابيّة . توفي سنة ١٨٥٣

ومنهم فيليب ڤولف (Ph. Wolff) عُني بدرس آداب العرب ونشر البعض منها . ولهُ كتاب دليل السيّاح لمصر والشام وفلسطين ضمنهُ اصول العربيّة العاميّة . وقد نقل الى الالمانيّة كتاب كليلة ودمنة وطبع المعلّقات ونقلها ايضًا الى الالمانيّة وبيّن خفايا معانيها . ونشر شيئًا من ديوان ابي الفرج الببغاء

ومنهم اخيرًا تيودور هاربوكر (Th. Haarbüeker) من علماء مدينة هال نقل الى الالمانيّة كتاب ابي الفتح الشهرستاني الذي نشرهُ وليم كورتون في لندن وذيّلهُ بالتذييلات الحسنة . ولهُ مقالة في كتاب مجموع العلوم لمحمّد بن ابراهيم السخاوي طبعهُ سنة ١٨٥٦ . ونشر في العربيّة تفاسير على اسفار يشوع بن نون واسفار الملوك الاربعة والانبياء من تأليف احد علماء اليهود الربّي تنحوم بن يوسف الاورشليمي ونقلها الى اللاتينية

(النمسويون) لم يبلغ النمسويون في درس العلوم الشرقيّة مبلغ الالمان في اواسط القرن التاسع عشر . وانما اشتهر منهم رجل مقدام كانت لهُ قريحة عجيبة في تعلّم اللغات والكتابة في كل فنون الشرقيين اعني بهِ البارون جوزف دي هامر پورغشتال (J. d. Hammer-Purgstall) ولد في غراتس سنة ١٧٧٤ ودرس في كلية فينّا لغات الشرق حتى امكنهُ قبل العشرين من سنهِ ان يتكلم بالعربيّة والفارسيّة والتركيّة

ثمَّ ارسلتهُ الحكومة الى الاستانة بصفة ترجمان ووكلت اليهِ نظارة قنصليَّاتها فتجوَّل في الشام ومصر ودرس احوال البلاد ثم لم يزل يتقلَّب في كلّ المناصب الشريفة حتى دخل في شورى الدولة. فانقطع حينئذٍ الى التأليف وكان يحسن الكتابة في عشر لغات اجنبيَّة فألَّف عدداً لا يُحصى من الكتب والمقالات في كل المواضيع الكتابيَّة وتغلَّب عليهِ التأليف في تاريخ الشرق وآدابهِ نسرد هنا اسماء بعضها : تاريخ الدول العثمانيَّة في ١٨ مجلداً . تاريخ الآداب العربية في سبعة مجلَّدات ضخمة من عهد الجاهليَّة الى آخر الدولة العباسية ضمَّنهُ عشرة آلاف ترجمة من كتبة العرب وشعرائهم وكبار علمائهم وقد نقل الى الالمانيَّة كتاب « أيُّها الولد » للغزالي وقلائد الذهب للزمخشري وتائية ابن الفارض ومقالات في موسيقى العرب ونشر قصصاً لم تعرف من كتاب الف ليلة وليلة وديوان خلف الاحمر ونظم بالشعر الالماني كلّ ديوان المتنبي . وكتب ايضاً تاريخ فارس ودولها وتاريخ الآداب التركيَّة . ونقل عدَّة مصنَّفات فارسيَّة الى لغتهِ وادار المجلَّات الشرقيَّة فاصبح في بلادهِ محوراً للآداب الشرقيَّة الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٥٦ . وكان البارون هامر شديد التمسُّك بالدين وكان يقيم صلاتهُ بالعربيَّة وألَّف كتاباً في ذلك . ومجمل القول انهُ يُعدُّ مع بعض مشاهير عصرهِ كمحيي الآداب الشرقيَّة بين الاوربيين

(الهولنديون) سبق لنا وصف همتهم في درس اللغات الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً . ودونك اسماء بعض الذين ازهروا في الطور الذي نحن في صددهِ

اشهرهم تاودور جوينبول (T. G. J. Juynboll) ولد سنة ١٨٠٢ ودخل في سلك خدمة الدين في بلادهِ وكان متضلعاً باللغة العربيَّة متقناً لتاريخ دول الشرق وآدابهم . فعلَّم اللغة العربيَّة في مدارس مختلفة حتى صار من اساتذة كلية ليدن الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٦١ . ومن آثارهِ انهُ نشر قصائد المتنبي وشعراء زمانهِ في مدح سيف الدولة واضاف اليهِ ترجمةً لاتينية ولواحق مختلفة . ونشر ايضاً تاريخاً مخطوطاً للسامرة ونقلهُ الى اللاتينية مع ملحوظات عديدة في اخبار السَّمَرة . وكذلك نشر كتاب مراصد الأطلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي . وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة مع مساعدة احد المستشرقين الهولنديين المدعو بنيامين ماتش (B. J. Matthes) وقد اجتمع ببعض ادباء وطنهِ فنشروا مجموعاً

دعوه بالشرقيّات (Orientalia) ومن مآثره ايضاً مقالة في الترجمة العربية السامريّة المحفوظة في مخطوطات باريس · وكان لجوينبول ابن تقفّى خطوات والده فاشتهر ايضاً بعلوم الشرقية اسمهُ ابراهيم وليلم (A. W. Juynboll) عاش بعده نحو عشرين سنة ونشر كتاب التنبيه في الفقه الشافعي لابي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي ونقله الى اللاتينية وقدَّم عليه المقدّمات الحسنة وكذلك عُني سنة ١٨٦١ بطبع كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي

ومن معاصري جوينبول الاستاذ تاكو رورْدا (T. Roorda) احد الافاضل الهولنديين الذين عُرفوا بالهمّة والثبات· باشر سنة ١٨٢٥ منشوراته الشرقية بدرس اخبار ابي العبّاس احمد ابن طولون والدولة الطولونية ثمَّ ألّف كتاباً في قواعد العربيّة وشرحهُ باللاتينية والحقهُ بمنتخبات ومعجم· وقد ساعد جوينبول في نشر مقالاته الشرقية الآنف ذكرها· توفي رورْدا نحو السنة ١٨٦٥

ومنهم ايضاً هندريك قايرس (H. F. Weijers) لهُ كتابات حسنة في شرقيات جوينبول المذكورة آنفاً ثمَّ اتَّسع في وصف كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ونشر مع احد مواطنيهِ الدكتور مورسنغ (A. Meursinge) كتاب درَّة الاسلاك في دولة الاتراك لابي الحسن بن عمرو بن حبيب واشتغل بوصف مخطوطات مكتبة ليدن الغنيَّة بكنوزها الادبية· ولا نعرف سنة وفاة قايرس كما اننا لم نقف على اخبار مورسنغ الذي كان نشر قبل ذلك كتاب طبقات المفسّرين للسيوطي

(الانكليز) اشتهر قليل منهم في هذا الطور بالآداب العربيّة · اخصّهم وليم كورتون (W. Cureton) ولد سنة ١٨٠٨ وتوفي في لندن سنة ١٨٦٤ كان من خدَمة الدين البروتستاني وتخرَّج في كليّة اوكسفرد وكان جلُّ اهتمامهِ باللغة السريانيّة وآدابها · وقد خدم الآداب العربيّة ببعض المصنّفات الدينيّة منها ما نشرهُ سنة ١٨٤٣ من تفاسير تنحوم بن يوسف الاورشليمي على مراثي ارميا النبي وكذلك نشر مقالة في الكهنوت من كتاب مصباح المرشد ليحيي بن حزير (ويروى جرير) التكريتي· ومن آثاره الباقية التي أتقن طبعها كتاب الملل والنحل للشهرستاني نجز طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٢ · وكان طبع قبل ذلك عهدة عقيدة اهل السنَّة لحافظ الدين عبدالله بن احمد النسفي· وهذان الكتابان نُشرا في جملة منشورات أُخرى تولّت طبعها في بريطانيا

شركة طبع التآليف الشرقية (Society for the Publication Oriental Textes) نمت الدروس الشرقية نمواً جزيلاً . ومما كانت نشرته رحلة البطريرك الانطاكي مكاريوس التي سبق للمشرق الكلام عنها (٥ : ١٠٠٦) وبهمّة كورتون طُبع ايضاً القسم الاوّل من وصف مخطوطات لندن العربية الذي اتمّهُ بعدهُ الطيب الذكر ريو (C. Rieu)

ومن احرزوا لهم بعض الشهرة في الآداب العربيَّة بين الانكليز وليم ناسو ليس (W. Nassau Lees) كان هذا مقدَّماً على جمعية بنغال الاسيويَّة وورث عن خلفهِ ماثيو لومسدن (M. Lumsden) حبهُ للآداب العربيـة فكان لومسدن افرغ المجهود في تجهيز مطبعة كلكوتا ونشر فيها مطبوعات مفيدة كمقامات الحريري سنة ١٨٠١ ونفحة اليمن لاحمد الشرواني سنة ١٨١١ وشرح المعلّقات ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزابادي وكتب أخرى اوسعت شهرة تلك الطبعة الهنديَّة . فلمَّا قام بعدهُ ليس زاد على خلفهِ نشاطاً واهتمَّ بنشر تآليف اوسع واكثر فائدة فطبع تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ونوادر القليوبي والكشاف للزمخشري وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشّاف اصطلاحات الفنون لمحمَّد علي الفاروقي التهانويّ ونخبة الفكر ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني وكان ليس يستعين في تلك المطبوعات ببعض علماء الهند كالمولوي كبير الدين والمولوي عبد الحقّ غلام قادر وكان ايضاً يساعدهُ في نشر تلك المطبوعات المستشرق سبرنغر (A. Sprenger) الوارد ذكرهُ بعد هذا

وقد نشر ايضاً في هذا الزمان الانكليزي هاريس جونس (J. Harris Jones) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم القرشيّ المصريّ فطبعهُ في غوتا سنة ١٨٥٨ ونقلهُ الى الانكليزيَّة

(الروسيُّون وغيرهم) كانت حركة الدروس الشرقية خامدةً في روسيا في اواسط القرن التاسع عشر ثمَّ اخذت الاكادمية الملكية تبعث الهمم وتنشط العزائم فنشأت بذلك نهضة محمودة وعُقدت بعض الجمعيَّات العلمية لترويج تلك المقاصد وهذه اسماء التآليف العربية التي نُشرت في روسيا في الطور الذي يشغلنا

نشر منهم الاستاذ غوتولد (J. M. E. Gottwaldt) معجماً للقرآن والمعلّقات

في قازان سنة ١٨٦٣ ونشر في بطرسبرج تاريخ سني ملوك الارض والانبياء. تأليف حمزة الاصفهاني ونقله الى اللاتينية — وفي بطرسبرج نشر الاستاذ كولسون (D. A. Chwolson) سنة ١٨٦٩ كتاب الاعلاق النفيسة لابن دسته (والصواب رسته) وترجمهُ الى الروسية وله ايضاً بحث خطير في آثار الآداب البابلية في كتب العرب سنة ١٨٥٩ في مجلة بطرسبرج العلمية — واهتمّ الاستاذ اسكندر كريستيانوفتش (Al. Christianowitsch) بالموسيقى العربية فوضع فيها مقالة وزيّنها برسم الآلات الشائعة عند العرب وطبعها في كولونية سنة ١٨٦٣ — وفي هذا الزمان ازهر احد العجم المتنصّرين اسكندر قاسم بك الذي علّم مدةً اللغات الشرقية في قازان وبطرسبرج وجعلهُ القيصر من اعضاء الشورى. كان يعرف اللغات التركيّة والفارسيّة والعربيّة وقد نشر في كلها تآليف عديدة وله في العربية مختصر الوقفيات ورسائل دينية ومقالات لغويّة وفصول تاريخية في اخبار الدول الاسلامية

ونشر قنصل الروس في تبريز نيقولا خانيكوف (N. Khanikoff) كتاب ميزان الحكمة للخازني وطبعهُ في المجلة الشرقيّة الاميركانية سنة ١٨٥٩ وهو سفر جليل في المواليد والفلزّات والجواهر وترجمهُ الى الانكليزية

وكذلك (الاسبانيّون) في هذه البرهة من الدهر شعروا بحاجتهم الى درس اللغات الشرقية ولاسيَّما العربية لما فيها من الآثار المفيدة لمواطنهم ونال لهم بعض الشهرة وطنيهم كايانكوس (Pasc. de Gayungos) الذي نشر في لندن ومجريط بعض التآليف العربية منها ترجمة نفح الطيب للمقري في مجلّدين كبيرين ومنها وصف قصر الحمراء مع بيان آثاره وتفسير كتاباته الحجريّة وكذلك نشر ترجمة كتاب كليلة ودمنة وتاريخ احمد بن محمد الرازي

اما (الايطاليّون) فانَّ درس اللغات الشرقية كان عندهم منحصراً في بعض المبادي ولم ينشروا في تلك المدّة من الآثار العربية شيئاً يذكر اللهمَّ الَّا الكردينال العظيم انجلو ماي (A. Maï) الذي دخل في الرهبانيّة اليسوعية في العشر الاوَّل من القرن التاسع عشر وتوفق الى الاكتشافات العجيبة التي خلّدت له ذكرًا في العالم كلّهِ في اعادة الكتابة على الرقوق التي حُكّت نصوصها السابقة (Palimpsestes). واقامهُ الحبر الاعظم الى رتبة الكرادلة ووكل اليهِ نظارة المكتبة الواتيكانية. وقد نشر في

السريانية والعربية ايضاً بعض ما وجده من الآثار النصرانية واثبتها في مجموع مطبوعاته . توفي الكردينال ماي سنة ١٨٥٤

وممن نلحقهم بهؤلاء المستشرقين بعض المرسلين الذين خدموا بمدارسهم ومنشوراتهم الآداب العربية . فمن اليسوعيين الاب اسكندر بوركنود (A. Bourquenoud) الذي سبق رينان الى درس آثار الشام ووصفها وصفاً مدققاً مهد الطريق لابحاث رينان الاثرية . توفي الاب بوركنود في تشرين من السنة ١٨٦٨ في غزير ومنهم الاب فنيك والاب بولس ريكادونا ألفا في العربية ارشادات وكتباً دينية تقوية

اما المرسلون الاميركان فاشتهر بينهم عالي سميث الذي تجوّل في انحاء الشام ونظّم احوال الجمعية الاميركية ووسّع اعمال مطبعتهم وباشر مع الشيخ ناصيف اليازجي ترجمة الكتاب المقدّس وقد انجزه من بعده الدكتور قان ديك . توفي عالي سميث سنة ١٨٥٧ وكان منهم ايضاً هنري دي فورست (H. de Forest) وادورد سالسبوري (Ed. Solisbury) وكلاهما مآثر حسنة من تاريخ وجغرافية وعادات ووصف اديان نشراها في المجلة الشرقية الاميركانية (Journal of the American Oriental Society) وكانت هذه المجلة صدرت سنة ١٨٥٠ فاخذت تباري بمقالاتها المجلات التي تقدمتها

وبهذا النظر الاجمالي نختم تاريخ الآداب العربية في طورها الثالث من القرن التاسع عشر وبه ايضاً ختام القسم الاول من تأليفنا هذا الذي سنجمعهُ ان شاء الله في كتاب مستقلّ ونلحقهُ بفهرس الأدباء الذين اوردنا ذكرهم في مطاوي كلامنا

من بوردو الى غواياكيل

لجناب الاديب اندراوس كوبا الماولي

رغب اليَّ بعض الاصحاب ان اصف لهم رحلتنا من فرنسا الى بلاد الاكوادور (خط الاستواء) فلبيتُ دعوتهم وارسلت الى مجلة المشرق تفاصيل سفرنا ولست

اقصد بها وصفاً علمياً وانما اكتفي بذكر ما حصل لنا منذ خروجنا من مرفأ بويَّاك حتى بلوغنا الى غواياكيل . وبويَّاك تبعد عن مدينة بوردو نحو مائة كيلومتر ومنها ركبنا السفينة الى اميركة

وكانت باخرتنا من بواخر شركة الترانسئلانتيك الشهيرة تُدعى لافرانس فاقلعت بنا في ٢٧ من شهر تشرين الثاني ثم سارت الى سانتندر في اسبانية فنقلت من مرفإها ٧٠٠ راكب الى كولون ليشتغلوا في حفر برزخ باناما وفي مساء ٢٨ ودَّعنا سواحل اوربة متوجهين الى جزر الانتيل

وكان اليومان الاولان من سفرنا براحة وسلامة الريحُ طيلة والسماء صافي الاديم لكن البحر لا تؤمن مسالمتهُ ولا يُوثق بصفائهِ ففي اليوم الثالث قامت امواجهُ اطوادًا وهبت الارواح وقرس البرد فاصبحت السفينة بمثابة كُرة تتلاعب بها المياه ولم تزل الانواء تحاربنا مدَّة ستة أيام كاملة حتى تعطَّلت بسببها بعض آلات المركب فهلعت بذلك القلوب واضطرَّت السفينة الى الوقوف في ظهر المحيط ٢٢ ساعة لاصلاحها ثم واصلت السير نحو يومين وخفَّ البرد وسكنت العاصفة وهدأ روع الركاب وحمدنا الخالق الذي نجانا منها وزالت تلك الافكار التي كانت تخالج قلوب الركاب وتحملهم الندم لسفرهم بهذه الاونة . ولما توسطنا بمنطقة الحرارة وخط الاستواء اخذنا تاسف على فواتنا منطقة الاعتدال وتمنّى نسيماً باردًا الى ان وصلنا الى جزيرة غوادلوب . فلما قربت منها الباخرة وشاهدناها اندهلنا متعجبين من حسنها الآخذ بالأبصار فلاحت لنا كانها كلها حديقةٌ غنا.

وفي اليوم التاسع من ك٢ دخلنا الى مرفا بِئابيتر مدينتها التجاريَّة وهذه المدينة قائمة في منبسط من الارض يكتنفها من جهة الاشجار الباسقة والخضر المبهجة الرائقة ومن جهة اخرى المرفا الحسن الوسيع الامين فان العواصف مهما اشتدت لا تؤثر فيهِ شيئاً فترى عند مدخلهِ على اليمين واليسار جزرًا صغيرة قامت كمعقل منيع يرد هجمات العواصف عنهُ وعن المدينة

وهذه المدينة هي المركز التجاري للجزيرة يقصدها كل سكان الجزر المجاورة وترسو في مرفإها بواخر الدول الاجنبية الحاملة اليها البضائع وفيها من السكان نحو ٢٠،٠٠٠

وفي العاشر بعد الظهر قام المركب منها الى باس تير (la Basse-Terre) وهي المدينة الثانية بالكبر والاولى بالرتبة وفيها يقيم الحاكم الاكبر وهيئة الحكومة الاولية وهذه المدينة آخذة بالتقدم والعمران حتى انها اصبحت المركز الوحيد لهذه الجزيرة فكانت من قبل المدينة العسكرية واما الان فصارت التجارية والعسكرية معاً . وفي سنة ١٨٧٢ وما بعدها فاز الزنوج بالانتخابات والتصويت وتقدموا تقدماً يُذكر فخاف العنصر الابيض من وخيم العاقبة فسعوا في اذلال الزنوج وبذلوا النفس والنفيس في مماكستهم ففازوا بامنيتهم ونالوا منهم وحطوا من سلطة الزنوج لا بل انهم لاشوها تماماً

وفي الثاني عشر قامت بنا الباخرة الى جزيرة ترينيداد قريباً على سلسلة الجزر الاتية وهي : سانتا لوسيا وسان مرتين وغرينادا ويليها جزر اخرى صغيرة تنتهي الى ترينيداد كانها جزيرة واحدة قد فرقتها تقلبات الزمان وطوارق الحدثان ولا يوجد بين المرتينيك وسانتا لوسيا الّا نحو ٢٠ او ٢٥ ميلاً وهكذا بين سانتا لوسيا وسان مرتين الى ترينداد وهذه الجزر كلها كانها بستان واحد كما سبق لنا القول . ثم وصلنا الى ترينيداد عند ظهر الثالث عشر ورست سفينتنا عند احدى مدنها الصغار وكنّا نراها ممتدة عند سفح الجبل ثم تتصاعد شيئاً فشيئاً الى منعطفهِ

وجبلها هذا جبل بركاني كبريتي يقذف الدخان من فوهته مدة من الزمان واهل هذه المدينة لا يخافون غوائلهُ لان فوهتهُ منفرجة ومن يراها كانهُ يرى روضاً بديعاً لوفرة اشجارهِ الباسقة الملتفَّة . وعند ما يقف الواقف امام المدينة تبتهج عيناه بذلك المشهد الحسن ويود لو اتيح لهُ ان يظل امامهُ لمشاهدة جمالهِ الفتان . وعدد سكان هذه المدينة نحو ١٠,٠٠٠ نفس .

ونحو الساعة التاسعة مساء سارت بنا الباخرة الى المرتينيك وعند الساعة السادسة ونصف صباحاً بعد مرورنا على جزيرة دومينيك خاصة الانكليز وجهنا الابصار الى راس ذلك الاقرع الذي اهلك اربعين الفاً من النفوس بجهة وضربة واحدة وسارت اخباره بالبرق الى سائر امصار المعمورة (١ فكنا نرى عن بعد قليلاً من الغمام حوله يتصاعد من فوقه قليل من الدخان فلما صرنا قبالته حيَّيناه وجلين مندهلين من ذلك المشهد الكئيب

١) راجع ما كتبناه من المقالات الضافية في وصفهِ وتكتذر في جريدة البشير

فان جهة الجبل المتجهة نحو البحر لا يرى بها عرق اخضر ولا ورقة شجر بل رماد كالح مكمد ثم وجهنا ابصارنا الى تلك الحزينة المسكينة فريسة التعيسة مدينة سان بيار فاذا هي خربةٌ دمار مكسوة بالرماد كانها لابسة الحداد حزناً على ذلك الجمع العديد الذي بات تحت رمدها

وفي الساعة ٧ من الحادي عشر دخلنا مدينة فور دي فرانس فأُخبرت بها ان بركانها انفتحت له في اعلاه ست وخمسون فوهة لخروج النار والدخان ويخشى ان يخسف برمته

وسكان هذه المدينة نحو ٢٥٠٠٠ نفس واسواق تجارتها رائجة يقصدها اهل البلاد المجاورة كفنازويلا وكولومبية والجزائر القريبة وفيها مخازن كبيرة حافلة بالبضائع الانكليزيَّة . وجزيرة ترينيداد هي الجزيرة الرابعة بين جزائر انتيلية الكبرى

ثم نحرت السفينة في وجهة بلاد فنازويلا الواقعة شمالي اميركة الجنوبية فوصلنا في ١٤ منهُ الى كاروبانو مدينة صغيرة سكانها نحو ٨٠٠٠ وهي قائمة في منبسط من الارض على يمينها وشمالها رأسان داخلان في البحر وهي في وسطها في لحف جبال تحيط بها . وكاروبانو مدينة تجاريَّة تزدحم في ميناها السفن ومرفأها في مأمن من الانواء لكن الوابورات الكبيرة ترسو بعيداً عن البرّ لقلة عمق الميناء المذكور

وفي اليوم التالي كان موعدنا الغويرا (la Guayra) وهي اعظم مرافئ بلاد فنازويلا واوسعها لا يفوقهُ في تلك الجهات الّا مرفأ فور دي فرانس . وقد بُني على جناح المدينة الايمن جسر على شكل رصيف يدخل في البحر طوله ٨٠٠ متر في عرض نحو اربعة امتار وعليه تمتدُّ سكة حديد لنقل الركاب والبضائع . وفيهِ مرابط للسُّفن مسقَّفة طول كلّ مربط خمسون متراً تقف عنده المراكب . وموقع المدينة فوق الرفا من عن يمينهِ . وعلى اليسار سهل واسع فيهِ غابة من شجر النارجيل اي الجوز الهندي واشجارهُ متكاثفة ملتفٌ بعضها ببعض . امَّا الجبال التي تطلُّ عليها فمنظرها مهيب تراها منتصبةً فوقها كحائط شاهق . والمدينة في ظلها وهي قائمة على تلّ في اعلاه قلعة منيعة ووراءها قلعة ثانية اعلى منها محجوبة وراء اكمة مرتفعة وبيوت المدينة تتدرّج في اعطاف الجبل يركب بعضها على عنق البعض وهي من اشد المدن منعةً واوسعها تجارةً . واكثر تجارتها البن تصدر منهُ ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو ثمَّ الكاكاو . امَّا اهلها فلا

يتجاوزون تسعة آلاف نفس ومنها تسير السكّة الحديديّة الى كاراكاس عاصمة فنازويلا

ثم اقلعت السفينة من لاغويرا فقطعت بلاد فنازويلا ووصلت في ١٧ منه تخوم كولومبية ونزلنا في مينا ساقانيلّا الذي وجدناه كمينا الاسكندرونة في استدارته وسعته والجبال تحيط به من كل جهاته . وكان الحرّ شديداً لمّا بلغنا كولومبية فخيل لنا انّا في لفحات صيف بلادنا ونحن في كانون . وساقانيلّا مدينة صغيرة اهلها نحو ٣٠٠٠ فقط ولها كما في لاغويرا جسر حديدي يمتدّ من المدينة الى البحر طوله ٩٠٠ متر تقطعهُ السكة الحديديّة ذهاباً واياباً لنقل الركاب والسلع التجاريّة

وتجارة ساقانيلّا زاهرةٌ ومنها تصدر الى البلاد قشرة الكانكينا التي منها يستخرجون الكينا . وكذلك البنّ والكاوتشوك وبعض المعادن الثمينة . وساقانيلّا قريبة من مدينة أخرى ساحليّة دعاها الاسبانيون قرطاجنّة الهند اشتهرت قديماً بنخاستها وبيع العبيد فيها . وهناك عاش رسولهم القديس بطرس كلاڤر اليسوعيّ الذي نصّر منهم اكثر من ٣٠٠,٠٠٠ وتفانى في خدمتهم نيفاً واربعين سنة

وفي مساء الثامن عشر القت سفينتنا مرساها في كولون (Colon) منتهى رحلتنا في البحر الاتلنتيكي . وربطت عند احد المرابط الثانية المجهزة في المرفأ فللحال اتى السفينة بعض رجال الحكومة ومعهم طبيب البلديّة فجمعوا الركاب وجعلوا يلقّحون كل واحد منهم بطعم الجدري مع انّ طبيب السفينة كان سبقهم الى ذلك فاجرى لنا تلك العمليّة قبل قدومنا الى جزيرة ݞوادلوب فزدنا بذلك امناً من فتكات الجدري

وفي غد ذلك اليوم نزلنا الى المدينة التي لها مرفأ طبيعي كمرفإ ساقانيلّا لكنّهُ اكبر منهُ ودائرتهُ نحو ٤٠ او ٥٠ كيلومترًا . امّا المدينة فعلى شاطىء البحر تُشبه كل الشبه مدينة بورت سعيد يغلب عليها الابنية الخشبيّة ومنذ مدّة قريبة قد سعى الاميركيون في تحسينها فتحوا لها شوارع جميلة وابتنوا لها الابنية الحسنة من الحجر او الطوب وهو الآجر . واكثر حوانيتها في ايدي الصينيين . وحول المدينة مستنقعات تُفسد هواءها والهمّة مبذولة في ازالة فاذا نجز هذا العمل اصبحت المدينة عامرة وتوفّرت في مرفإها السفن . وقد جلبوا اليها بالقنيّ مياهاً طيبة تنفع للصحة

وكان سفرنا من كولون بالسكّة الحديديّة الى باناما والمسافة بينهما ٧٥ كيلومترًا وباناما مدينة قائمة على الاوقيانوس الهادي ومرفأها اشبه بخليج لاتساعهِ وقد احرزت

لها شهرة عظيمة منذ اتجهت اليها الافكار لحفر الترعة التي ستجمع بين الاوقيانوسين الأتلنتيكي والباسيفيكي . وفيها يقيم حاكم البلاد وعدد سكانها نحو ١٥,٠٠٠ اما اذا حُفرت الترعة فستصبح من الحواضر المهمّة . وهي مدينة قابلة التحصين لكثرة جبالها المجاورة ووفرة الموادّ اللازمة للبناء . والبواخر التي تأتيها ترسو بمحل يُدعى بوكا لانه عند مصب نهر الكبير ريوغرنده وهو غربي المدينة على مسافة اربعة كيلومترات منها . والاشغال الآن قائمة فيها على ساق لابتناء رصيف عظيم ترسو عنده السفن الواردة ومن هناك مبدأ الترعة التي ينتظر فتحها بعد سبع او ثماني سنين

وعُدنا في باناما وركبنا السفينة لنخوض هذه المرّة البحر المحيط المعروف بالهادي وهو حقيق بان يُدعى بهذا الاسم الشريف وقد كانت سفرتنا هذه من اشهى السفرات على بحر صقيل كالمرآة وبازائنا المشاهد الفتّانة وكان مركبنا يسير الهوينا متجهاً الى الجنوب فنبصر من عن شمالنا ذلك الطود الشاهق الذي يُسمّى بالكوردليار الممتدّ على طول سواحل اميريكة الجنوبيّة في غربيها

وفي صباح ٢٧ كانون وصلنا الى خليج غواياكيل الذي فيه يصبّ نهر الأكوادور العظيم المسمّى غواياس وهو في عظمه كانه النيل المبارك وبقي المركب سائراً طول يومنا الى نحو الساعة الرابعة مساء فبلغنا مصبّ النهر الذي يشبه كل الشبه مصبّ نهر امازون الكبير عند بارا فسارت السفينة بين الجزر المتعددة القائمة عند مصبّ النهر حتى اوقفتنا عند ضيعة تُدعى بونا فربطت هناك . وفي صباح الثامن والعشرين جاءنا عمّال الحكومة واجروا الكشف الطبي ثمّ رخّصوا لنا بالسير في النهر فصعدنا سائرين فيه نحو اربع ساعات حتى وصلنا عند الظهر الى غواياكيل التي هي فرضة بلاد خطّ الاستواء وغاية رحلتنا الاميريكيّة

تمتدّ غواياكيل على ضفّة نهرها الغربيّة من عن يمين الداخل اليها وقسم منها قائم في منبسط من الارض والقسم الآخر على سلسلة آكام تبتدئ من النهر ثمّ تتواصل مرتفعة شيئاً فشيئاً حتّى تبلغ الجبال العالية . وغواياكيل اعظم مرافئ الاكوادور واهمّ مراكزها التجاريّة يبلغ سكّانها من خمسين الى ستين الفاً وهم موصوفون بدماثة اخلاقهم ولين طباعهم وتحمّسهم الديني وتقاهم وان كان التمدّن الجديد غيّر شيئاً من عاداتهم القديمة

ومعظم ابنية غواياكيل خشبيّة حتّى كنائسهم . واذا ارادوا تشييد بناء اقاموا له اعمدة ثم يجعلون بين العمودين القصب الهندي كالواح خشب ويطلونه بالكلس من الخارج امّا الداخل فيصفحونه بصفائح الزنك وهو التوتيا خوفًا من الحريق ويلصقون عليه الورق الملوّن . وغواياكيل مدينة حسنة الهندسة لا ينقصها شيء من اسباب التمدّن تزينها الشوارع الواسعة والاسواق الحافلة والمخازن العامرة . على انّهُ تستنقع في بعض جهاتها المياه فيحصل من جرّاء ذلك حميات وامراض لا سيما الحمّى الصفراويّة

وقد ظهر في هذه السنة بعض اصابات بالطاعون الدمّلي فارتاعت القلوب وهامت النفوس واتخذت الحكومة كل الاحتياطات لمنع تفشي الداء وتنظيف البلد الّا انّ العدوى انتشرت رغمًا عن كلّ الوسائط المتخذة لحصرها حتى غصّت بعد قليل المستشفيات بالمصابين وسرى الداء الى القرى المجاورة . وقد جرّبوا التلقيح بالمصل فقلّما نجح في من عُولجوا بهِ

وممّا سرّنا ان الاهلين اذ شاهدوا الموت بالعيان التجأوا الى الصلاة وممارسة الاسرار وتجدد في القلوب روح العبادة وطاف الكهنة بالقربان المقدّس في الشوارع وحرّضوا الجميع على التوبة عسى توبتهم تفتح لهم باب الفرج . والحق يقال انهُ لم يبقَ لنا امل الّا فيهِ تعالى ليخلصنا من هذه الآفة ويجعل آخرتنا على سلامة

ومن الاسباب التي تُعزى اليها العدوى انّهم وجدوا في المدينة عددًا من الجرذان الميتة ومن المعلوم انّ الطاعون ينتشر خصوصًا بواسطتها (اطلب مقالة المشرق في الطاعون ودواعيهِ للاب بولوس اليسوعي ٢ : ٥٣٢)

وتلافيًا لشرّها امرت البلديّة في ١٩ من آذار ان تُلقى النار في سوق عتيقة كانت في وسط المدينة مبنيّة بالخشب فيها اربعة صفوف من الدكاكين و٣٠٠ دكّان تُباع فيها الحبوب . وكانت تلك السوق عشًّا للجرذان والفار فأُحرقت برمتها فكان حرقها مشهدًا عظيمًا وبهرجانًا لاهل البلد

امّا السوريّون في غواياكيل فامورهم حسنة وكلُّهم من التجّار المتجرين لهم فيها ١٨ مخزنًا عامرًا واعظمها شانًا محل الخواجات فرح اخوان من بيروت

ومن الاجانب المحتلين في غواياكيل الصينيون فانّ اكثر مخازن المدينة ولا سيَّما

حوانيت الأكولات والمشروبات في ايديهم وتجد الناس يزدحمون في علاتهم ويُضرب المثل في هوادة اسعارهم واقتناعهم بالربح القليل

وبلاد الاكوادور تكثر فيها الزلازل وفيها البراكين التي لا تزال تُلقي الحمم وتقذف بالنار والدخان . وربَّما سُمع صوت زمجرتها من الامكنة البعيدة وفي ٢٧ كانون الثاني عند الظهر شعرنا بهزّات زلزالية خفيفة وكذلك في ١٠ من شهر شباط تكرَّرت تلك الاهتزازات التي احسَّ بها ايضاً اهل كويتو وكويتو عاصمة الاكوادور واهلها نحو مئة الف نفس وفيها مركز الحكومة وهناك اشتهر الرئيس غرسيا مورينو الذي رقَّى بلادهُ في معارج التقدُّم ومات ضحيَّة تفانيه في خدمة وطنهِ وذَوْدهِ عن حمى الآداب

هذه خلاصة ما حصل لنا في رحلتنا فان شاء الله يجد فيها القرّاء ما يفكهون بهِ البابهم ويحدو بهم الى ان يذكرونا بالخير

مطبوعات شرقية جديدة

C. M. Kaufman, Manuale di Archeologia cristiana .... versione dal Tedesco del Sac. Dott. E. Roccabruna. 250 illustrations. in-8°, *Rome*, *F. Pustet*, 1908.

اصول الدروس الاثريَّة النصرانية

انَّ وفرة الآثار النصرانيَّة التي اكتشفها العلماء في القرن الاخير فتحت باباً جديداً لتعليم اللاهوت اذ يمكن الآن اللاهوتيين ان يثبتوا العقائد الدينيَّة ليس فقط بالنصوص النقليَّة وآيات الكتاب واقوال الآباء والمجامع والبيِّنات العقليَّة لكن بالادلَّة الاثريَّة ايضاً . ولهذا السبب سعى الكاثوليك بوضع التآليف التي تدوّن اصول هذا العلم الجديد وتوضح وجوههُ المتعدّدة وتبين ما للآثار القديمة من الخواصّ والمزايا لتوطيد قواعد الدين . وبين هذه التآليف قد امتاز كتابٌ وضعهُ بالالمانيَّة المعلّم كوفمان لطلبة الكهنوت فشاع في مدارس المانية . وها نحن نقدّم للشرقيين ترجمتهُ الايطاليَّة التي تقرّبهُ الى فهم كثيرين منهم . وهي ترجمة غاية في الضبط وقد أُضيفت اليها الاكتشافات الحديثة . ومن الابحاث التي سوف يتلقاها اهل الشرق بالرغبة والشوق « أصل العاديات

النصرانية ، مصدرها روماني كما يزعم البعض او هو بالحري شرقي سبق اليه اهل مصر وآسيا الصغرى ولا سيا اهل الشام . فالمؤلف يُنعم النظر في هذا البحث و يبين ما لكل فريق من الفضل . ومما نثني عليه في هذه الطبعة حسن تصاريها وجدول التآليف التي كُتبت في هذه العاديات وان وجدنا خللًا في تعريف المطبوعات الخاصة ببلاد الشام . وكذلك أحسن المؤلف في توسيع الفهارس وتعليق بعض الملحقات المفيدة كسلالة الاحبار الرومانيين وانساب الملوك والرموز الكتابية وقد لحظنا في الكتاب بعض الاغلاط التي فرطت من الكاتب كقوله مثلًا في الصفحة ٣٦ انّ الكنت دي فوكويه وصف الآثار اللبنانية والحوارب انّ وصفهٔ مختص بآثار سوريّة ليس بلبنان . وكذلك قد نسب سهوًا للخوري شابو (ص ٥٢٧) مقالةً وضعها البندكتي دون كبرول

ل . ش

MANUEL D'ART MUSULMAN. Paris. Alph. Picard. 1907. I. L'architecture. par H. Saladin. 1 vol. 8°. XXIII-596 pp., 420 illustr.=II. **Les arts plastiques et industriels**, précédé d'un précis historique des civilisations musulmanes, par G. Migeon, I vol. 8° LXXXIII-477 pp., 376 illustr.

الصنائع والفنون الاسلامية

هذا كتاب يهمّ الشرقيين على وجه خاصّ لانهُ اوّل تأليف وُضع الى يومنا في الفنون بين الامم الاسلامية فبكل طيب قلب نصحهُ للشرقيين ليقبلوا على مطالعته . والكتاب في قسمين كبيرين ألّف كلّا منهما احد العالمين الفرنسويين سالدان (H. Saladin) وميجون (G. Migeon) . ومدار القسم الاوّل على الهندسة الاسلامية صنّفهُ المسيو سالدان بعد ان بعثهُ دولتهُ غير مرّة الى الممالك العثمانية فزار مصر والشام وفلسطين و بلاد تونس وصقلية والجزائر فدقّق النظر في كل الآثار الهندسية التي صبرت حتى اليوم على آفات الدهر ثمّ درس في كتب الخاصّة آثار تركستان والعجم والهند ومراكش والاندلس فاستخلص من كلّ ذلك مجموع الاصول الفنيّة التي وقف عليها واثبتها في كتابهِ على طريقة علميّة مبينًا ما تفرّدت بهِ الهندسة الاسلامية في البلاد المختلفة التي ملكها المسلمون . اما القسم الثاني فقد خُصّ بالاعمال الفنيّة والآثار الصناعيّة ألّفهُ المسيو ميجون احد نظّار متحف اللوفر في باريس ومدرّس

علم الاصول الاثريّة في القرون الوسطى وقد استعدَّ لهذا التأليف منذ زمن طويل فامعن النظر في العاديّات الاسلاميّة التي يحتويها اللوڤر ثمَّ تفقَّد التاحف العربيّة في كل مظانّها شرقًا وغربًا لا سيما الاستانة العليّة ومصر · وفي السنة المدرسيَّة ١٩٠٤–١٩٠٥ خصَّ دروسهُ بتلك المآثر الصناعيّة واملى على الطلبة منها فصولًا استحسنها كل من اطلع عليها فنشطوهُ على توسيعها وطبعها فكتب هذا المجلَّد الثاني الذي نحن بصدده · فجاء القسمان متضمّنين لقوانين الفنون الصناعيّة في جهات الشرق الاسلامي فنها مآثر دينيَّة كساجد ومناور ومحاريب ومنها مآثر مدنيَّة كقصور وآنية ومصاغات وليست كل هذه الآثار للمسلمين فقط بل تكل الصَّنعَة النصارى والموسويين الذين يعيشون او عاشوا في بلاد المسلمين · والحقَّ يقال ان من يَطَّلع على هذا التاليف لا يتمالك عن العجب مما يجدهُ في مطاويهِ من سعة المواد والتفنن في الاوصاف ومعرفة الاصول حتى كاد المؤلفان ان يستطقا الجماد ليفصح لهما عن افكار الاقدمين وبراعتهم · على انهما لا يزعمان أنهما استنفدا الموادّ لا بل تراهما يصرّحان بان عملهما هذا انَّما هو كتمهيد وتوطئة لتاليف اوسع واكمل يتمنّيان ان يقوم بهِ احد بعدهما · ومن خواص هذا التاليف في قسميهِ كليهما انَّهُ موضوع على اسلوب مدرسي وتنظيم متَّسق يسهّل الوقوف على مشتملاته · فترى في القسم الاوَّل مقدّمات عموميَّة عن الهندسة العربيَّة وما بينها وبين الهندسة السابقة من الشبه والتباين في كلّ بلد من البلاد الاسلامية يليها ابواب واسعة في كل اصناف الابنية كالجوامع والقصور والمدافن وغيرها في الاقطار المختلفة مباشرةً بمصر ثمَّ الشام ثمَّ جزيرة العرب ثمَّ المغرب ثمَّ العراق والجزيرة ثمَّ تركية اوربة ثمَّ الهند والصين · وكذلك القسم الثاني يحتوي في اوَّلهِ نظرًا عن التمدن الاسلامي اجمالًا وفي اثرهِ ١٤ فصلًا في الفنون المختلفة كالنقش والحفر وشغل الخشب وآنية العاج والجواهر والنقود وادوات النحاس والشبه والاسلحة والخزفيَّات والزجاج الملوَّن بالمينا والحجارة الكريمة والانسجة والطنافس · وقد ختم هذه الفصول بفصل مهمّ بيَّن فيهِ ما استعارهُ الاوربيون من الفنون الشرقية · فترى من هذا النظر انَّ الكتاب فريد في بابهِ لا غنى عنهُ لمن يبحث عن الآثار الشرقية لاسيما التجار وارباب الصنائع · والمؤلفان كلاهما يتوسَّل الى كل من يطلع على كتابها بان ينتقد عليهما ويفيدهما عمَّا فاتهما من الوصف ليزيدا الكتاب كمالًا في طبعة ثانية · وهذا ما يحملنا نحن ايضًا على

ان نعرض عليها بعض ما خطر لبالنا عند تصفّحنا لتأليفها · واوّل ذلك انّ المسيو سالدان مع تعريفهِ للهندسة الاسلامية لم يُفدنا شيئًا من طرائق البناء الشائعة في الشرق وفي تعريفها افادة لا تُنكر · كذلك قد فاتهُ وصف جامع قديم كان يستحقّ ذكرًا وهو جامع ايا سلوق الواقع قريبًا من أفسس كما انهُ لم يثبت صورة جامع ادرنه وهو من اعظم الآثار الدينية في تركيا · اما القسم الثاني فانا وجدنا المسيو ميجون مقتصرًا في تعريف اصل الفنون في بلاد الاسلام كبيان تأثير الفنّ القبطي في الصناعة الاسلامية المصريّة · ومما فاتهُ ايضًا وصف الآنية الصينية التي تزيّن بلاط السلاطين في ادرنه وغير ذلك من الطرف الصناعية التي تستحق الذكر كالآثار التي جمعها المسيو هردوشيانو وبعض محبي الفنون الشرقية من وجوه اهل دمشق

س· د

ELIE TABET. **Dictionnaire Français - Arabe des Termes Juridiques**, accompagné des principes du droit français et du droit musulman qui s'y rapportent, 2 vol. 8° lithogr. 1903-1904. *Alger, Lithogr. Ad. Jourdan.*

قاموس الالفاظ الاصطلاحية الملحقة بالرسوم الدولية

كلٌّ يعرف كم يحتاج اصحاب الدعاوى الى قاموس يشمل الالفاظ المختصة بالدعاوى في البلاد التي يختلط فيها القانون الاهلي والاجنبيّ وحيث انتشرت اللغات العربيّة والافرنسيّة كما في الجزائر ومصر والشام فانّ في تدوين تلك الاصطلاحات حاجةً ماسّة لئلّا يبقى الناس في ريب من معناها الصحيح · وعليه نثني الثناء العاطر على همة الاديب الياس افندي ثابت الذي نشر هذا المعجم في الفرنسويّة والعربيّة ليرجع اليه ارباب الدعاوى في معاملاتهم · ولكن ساءنا انهُ طبعهُ على الحجر مع انّ الطبع على الحروف افضل لجلائها ونضارتها اما الطبع الحجري فكثيرًا ما يتعب العين و يورث بعض الالتباس في القراءة كما ترى في الصفحة ٦٧٣ من هذا التاليف · وكذلك كان يمكن المؤلف لو طبعهُ بالحروف ان يصغّر حجمهُ ويجمع موادّهُ في صفحات اقل · فنتمنّى لهذا الكتاب رواجًا سريعًا ليجدّد صاحبهُ طبعهُ ويُتقن ماديّاتهِ ويزيل بعض الاغلاط التي وقعت فيهِ · وفي رأينا انّ هذا التأليف سيكون مثالًا لتآليف أُخرى شبيهة بهِ ليس فقط في الامور الشرعيّة بل في بقيّة الصنائع والفنون فيجمع اصحاب المهنة الالفاظ الاصطلاحيّة في كل

فنّ كالطب والرياضيات والطبيعيات فيقف ارباب البحث على الاصطلاحات الجارية في كل الاقطار التي شاعت فيها اللغة العربيَّة

ل . ر

HERMANN L. STRACK: **Hebraeische Grammatik mit Uebungsbuch.** Neunte sorgfaeltig verbesserte und vermehrte Auflage (1907). *München, Beck.*

غراماطيق عبرانيّ مع تمرينات

لم يقصد صاحب هذا الكتاب ان يحلّ كلّ المشاكل اللغويّة التي يجدها الطلبة في درس اللغة العبرانيّة الّا انّ الدارس اذا اتقن محتوياتهِ يستطيع غالبًا ان يدرك معاني الاسفار المقدسة ويتبيَّن مبهماتها. وقد تعجَّبنا من كثرة مضامينهِ مع صغر حجمهِ. وأملّ الباحث يجد فيهِ ما لا يجدهُ في التآليف المطوَّلة لحسن تنسيقهِ ووضوح اسلوبهِ وطريقتهِ العلميَّة . وممَّا استحسناهُ ان المؤلف عارض جداول الافعال العبرانيَّة بالتصريف العربي فانَّ في تلك المقابلة لمَّا يميط الستر عن مشكلات عديدة ويبين تركيب الافعال العبرانيّة اما التمرينات التي الحقها المؤلف بكتابهِ فانَّها وافرة متلوّنة كثيرة الفائدة . ويليها بعض شروح على فصول من التوراة يستغني بها الطالب عن التفاسير المطوَّلة التي لا حاجة له اليها في اوَّل درسهِ . وكذلك رأينا المعجم العبرانيّ الالمانيّ الذي في آخر الكتاب كافيًا لعموم الطلبة. وقد اقبل على هذا الكتاب ارباب المدارس لكل هذه الصفات التي ذكرناها فوصل بعد زمن قليل الى طبعتهِ التاسعة فنهني المسيو ستراك على هذا النجاح ونتمنى له المزيد

الاب ب . جوون

STANFORD'S NEW OROGRAPHICAL **Map of Palestine.** Compiled under the Direction of H. J. MACKINDER, Four Sheets: 52 by 62 inches; 4 miles to an inch. 1908.

خارطة فلسطين

انَّ جمعيَّة فلسطين الانكليزيَّة قد اضافت الى خدمها المتعددة في سبيل العلم خدمة جديدة بنشرها هذه الخارطة التي تفوق كل الخوارط السابقة بحسنها وكبرها ودقَّتها. ومن خواصها دلالتها على علو الامكنة بالوان زهيَّة. وقد احسنت بالخصوص في تمثيل وادي الاردن ووادي مرجعيون ووادي بردى والغوطة ونهر القاسميَّة وسواحل فينيقية والنجاد

حوران ومآب ومشارف جلعاد وغور بحيرة لوط كلّ ذلك تراهُ في هذه الخارطة من اوّل وهلة وتتزّ به العين لحسن التنسيق واختلاف الالوان . فنحضّ الدارسين على اقتنائها فانّها من اجود ما طُبع من هذا الصنف الى يومنا وهي تصلح خصوصًا للمدارس وطلبة العلوم الكتابية

س . د

PROME ET SAMARA. Voyage archéologique en Birmanie et en Mésopotamie par le **Général de Beylié**, in-4°, 146 pp., 100 fig. et 15 pl., 1907, *Paris. Leroux.*

رحلة الى بلاد برمانيا وبلاد ما بين النهرين

لمحنا في المشرق (١٠ : ٧١٩) الى سفر الجنرال دي بيليه الى برمانية وما بين النهرين وما اكتشفهُ في سفرتهِ من الآثار الجليلة والكتابات القديمة . وها هوذا قد سطّر اخبار رحلتهِ ووصف ما لقيهُ فيها من الابنية القديمة . وجناب الجنرال ممن أُولعوا بدرس الهندسة الشرقيّة وقد ألّف سابقًا كتابًا في المسكن البوزنطي فريدًا في جنسهِ مرّ لنا وصفهُ في المشرق (٦ : ٩٥٩) . وسياحتهُ الحديثة انّما كانت غايتها الخصوصية درس فنّ البناء القديم وهندسة العجم والهند الصينية وما يوجد بين تلك الآثار لا سيما الفارسيّة وبين ابنية العرب بعد الاسلام من الارتباط والملاقة . فقد اسعدهُ الحظ على بيان ذلك بوجه واضح بحيث يمكن اليوم الاثريين ان يتتبّعوا تاريخ الهندسة العربيّة ويثبتوا اصولها . فنهنّئ حضرة الجنرال بهذا الاكتشاف الجديد ونشكرهُ على تأليفهِ الذي وجدنا فيهِ اللذّة والافادة معًا

س . د

المُنجد

معجم مدرسيّ للّغة العربيّة

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي (بيروت . المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٠٨ ص ٧٣٧)

هو المعجم الذي كنّا نتوق الى نشرهِ منذ ثلاثين عامًا فتمنّى ان يتفرّغ لهُ احد علماء العربيّة ليسدّ بهِ ثلمةً واسعة في مدارسنا ولقد كان يأخذ منّا العجب كل مأخذ اذ نرى الاحداث يقبلون على مطالعة الآثار الادبيّة في لغتنا وليس في يدهم قاموس

يرشدهم الى شرح الالفاظ اللغويّة التي يعثرون بها مـا لم يرجعوا الى المعاجم الكبيرة الغالية الثمن الواسعة المواد القليلة المناسبة لحالة الدارسين · فالكتاب الجديد سوف يتدارك كلّ هذه المناقص لصغر حجمهِ ووضوح طريقتهِ وقرب الحصول على موادهِ مع الدلالة على الاصول والمشتقات وتعدّد المعاني للفظة الواحدة باصطلاحات معلومة · وهو مع ذلك جامعٌ بحسن تنظيمهِ لمعظم المفردات التي يحتاج اليها الاساتذة انفسهم فضلًا عن الطلبة · وزد على ذلك انهُ المعجم الوحيد الذي يخلو من كلّ لفظة تخدش وجه آداب الاحداث · وممّا تفرّد بهِ ايضًا هذا الاثر الجديد انهُ اوّل معجم عربي تزيّن بالتصاوير فأودع منها نيفًا و ٤٠٠ صورة تُعين الاحداث على ادراك المعاني اكثر من الشرح الطويل · وخلاصة القول لا نشك في رواج هذا الكتاب عما قليل في كل مدارس الشام ومصر والعراق والجزائر · والمؤلف يتقبّل بالشكر والمنونيّة كلّ الملحوظات التي من شأنها ان تحسّن طبعاتهِ الآتية · جعل الله حضرتهُ سندًا للآداب ونفع المدارس زمنًا طويلًا بتآليفهِ ل · ش

دروس القراءة

بقلم محيي الدين الخيّاط · قسمان بالمطبعتين الادبيّة والاهليّة (١٣٢٦ ص١٢٨)

هذان الكرّاسان وضعهما جناب الاديب محيي الدين افندي الخيّاط بالتزام محمّد افندي شاكر ياسين للمدارس الاسلامية لطلبة سنتَيها الاولين · وقد افتتح القسم الاول بالفصل الهجائي واردفهُ باربعة فصول اخرى أخلاقيّ وفكاهيّ وحكميّ ودينيّ · اما الثاني فاودعهُ فصولًا اوسع مادّة وارقى مضمونًا في الاخلاق والحيوان والفكاهة والحكم والدين وضبط كل ذلك بالشكل التامّ وطبع الكرّاسين بالحرف الاسطنبوليّ الكبير · وعما قليل سيشفعهما بجزء ثالث ان شاء الله ل · ش

شذرات

حفلة اليوبيل البابوي قرأنا في عدّة جرائد مصريّة كالمصوّر والاتحاد المصري والمقطّم وصف الحفلة الشائقة التي عُقدت في مدرسة الآباء اليسوعيين في الاسكندريّة احتفاء بيوبيل بيوس العاشر الكهنوتي · وممّا جرى في هذه الحفلة مباراة شعريّة جُعلت جائزتها للنائل

مجموعة مجلة المشرق المؤلفة من عشر سنوات مجلَّدة تجليدًا بديعًا . فقام بعض الشعراء المتلفين وقرأوا ما جادت به قرائحهم . اما الجائزة فقد حكمت اللجنة المعيَّنة لفحص القصائد ان الذي استحقها هو جناب الشاب الاديب يوسف افندي سوداء احد التلامذة النجباء الذين تخرَّجوا في كليتنا فنمحض التهاني لجناب الشاعر وندوّن هنا قصيدته لتبقى في صفحات المشرق :

برومة عرشٌ دونهُ النَّجمُ بالعلى ... تألَّق نورًا يُخجل النجمَ والبدرا
بقصر تمنى « اللُّوفر » بعض فخاره ... وما « كيرِنال » الروم يُشبهُ ذا القصرا
منيع ولا جندٌ تصُونُ ذمارهُ ... عزيزٌ ولا بيضٌ هنـاك ولا سمرا
كأنَّ بلادَ الله دائرةٌ وقـد ... غدا محور الدنيا برومتنـا الكبرى
هو الفاتيكان الأبلقُ الفردُ محورٌ ... تدور حواليـهِ سهامُ الورى طرًّا
فيسطع منـهُ الحقُّ يرمي أشعَّةً ... تمزّق ديجور الضلالة والسترا
تربَّع فيـهِ اشيبٌ ذو مهابةٍ ... ضعيفٌ ولكن ضعفهُ يفلقُ الصخرا
تطأطئ لهُ الهامَ الملوكُ لأنَّها ... رأت قبلهـا الأيام تحني لهُ الظهرا
تزهَّدَ في الدنيـا تقىً وتواضعًا ... كما شاء مختارًا بها السجن والاسرا
ولكنما الدنيا أبت زهدهُ بهـا ... ولم يرضها منـهُ تحجُّبهُ طهرا
... كمهرٍ عتيٍّ يقطع اللجم حولهُ ... جموحٍ شرودٍ ينهبُ السهل والوعرا
فلا الزَّردُ المحبوكُ يوهن عزمـهُ ... بضغطٍ ولا المهمازُ يثنيهِ نمرا
تصدَّى لهُ ماضي العزيمة فارسٌ ... يروّض أسد البرِّ يقتلهـا ذعرا
وهزَّ لهُ السَّوطَ الرفيع ذراعهُ ... فطاطأ رأسًا كان يعطو بـهِ كبرا
... كذا كانت الدنيا تهيم بحالكٍ ... من الجهل تهوى البغي والظلم والكفرا
فلا شارعٌ تُرعى شرائعـهُ ولا ... مليكٌ عدولٌ يأنف الجور والغدرا
توحّشُ اخلاقٍ وفظٌّ عواطفٍ ... وفوضى شعوبٍ تشبه البُهم في الصحرا
الى ان بـدا دين المسيح بنورهِ ... فغيَّر وجه الارض يستهلُ الوعرا
فدمَّث اخلاقًا ورقَّى عواطفًا ... وصيَّر عبد الظلم في ارضـهِ حرًّا
اطاعت ملوك الارض كرسيَّ بطرسٍ ... وجاءت اليهِ تطلبُ النهي والامرا
تصاغر قسطنطين وهو مليكهُ ... وخفَّض من غلوائـهِ راضخًا جهرا
وروَّع أتيلا الصليبُ بنورهِ ... فعادت جيوش الكفر مدحورةً دحرا

اتى شرلمان بعد ان ماك الدنى … وزعزعها برًا ودوَّخها بحرا
بروميةَ يسترضي خليفةَ بطرسٍ … ومُلكهُ في الارض ملكًا بهِ أحرى

*

فما قيصرُ الرومان إبَّانَ مجدهِ … يقودُ لساحات الوغى عسكرًا مَجرا
وما أتيلاُ وهو يزجي فيالقًا … على رومة العظمى ليأخذها قسرا
وما المعجزُ الفرار نبوليون في … اعالي سماء الملك من دونهِ الشعرى
يجرُّ على الدنيا ذيول فخارهِ … يفرّق تيجانًا ويصطنع الدهرا
ويحصر اوربا بكفيهِ تائهًا … باعلى سماهُ رائدًا يشبه النسرا
بأرفعَ شانًا منهُ حين يسوسها … شعوبًا بانحاء الورى تعجز الحصرا
مليك له في العالمين فيالقٌ … يسيّرها بحرًا ويُنفذها برًّا
لقد نشرت في الخافقين لواءهُ … فساد على الاقطار باللين لا قهرا
تغيّرت الايام من اعصر خلتْ … وظلَّ كما قد كان لا يتبع العصرا
كصخرٍ سما في اليمّ يرفع راسهُ … فهاجمهُ التيار يبغي بهِ شرًّا
تراجعَ ثم استطرد الوثبَ هائجًا … ولكن معاذ الله ان يوهن الصخرا
تكسرت الامواج لم تضرِ الصَّفا … وظلَّ الصفا صعب المنال ولا خطرا

*

أمالكَ هذا المجد والفخر والعلى … علوت فلم تترك علاء ولا فخرا
أبيوسُ مهلًا بعض هـذا العلى فهل … تحلّق حتى تبلغ الانجم الزهرا؟
ظهرتَ بميدان السياسة فارسًا … فحزتَ بلا جيش ولا عُدَدٍ نصرا
تلين اذا لانت من الدول القنا … وتنقض ان تصلبْ قناتُهم صقرا
ولم يُنسك المجد الفقير فانما … تعشقتَ قبل المجد والشرفِ الفقرا
اذا ما دعا شرق البلاد اجابهُ … دعا غربها واتكلَ من كبدٍ حرّى
ليهنئك هذا العيد انك عيدهُ … وملك شعوبٍ تستطيلُ لك العمرا
لئن بعدت روما وشطَّ مزارها … علينا فان القلب عندك والفكرا
فنحن بارض الشام بالدين مثلنا … برومتنا بل قل كما نحن في مصرا

الركوسيّة — عاد حضرة الاب انستاس الكرملي الى مسألة الركوسيّة في مجلة انثروبوس (Anthropos, III. f. 556-558) فحاول اثبات رأيهِ ونقض

الادلَّة التي لستدنا اليها في المشرق (١٠: ١١٢٠—١١٢٥) لردّ زعمهِ فقرأنا بتأنٍ ما استأنف بيانهُ ونحن مستعدون ان نسلّم له بالرضى وطيب الخاطر ان وجدنا في نبذته برهاناً واحداً مقنعاً عن وحدة الركوسيَّة او المتوثليَّة . فنسوق القول لحضرته أنا طلبنا ذلك البرهان في مقالتهِ فلم نعثر عليـه . فان رأيهُ في الركوسيَّة مبنيٌّ كلُّهُ على دليلين احدهما وهميٌّ والثاني ضعيف فالدليل الوهميّ انَّ اسم ركوس مبـدل من « كورس » ولم يأتنا بشاهد على قولهِ غير ما تأوَّلهُ حضرتهُ من نفسهِ فان لم يسند زعمهُ الى بيّنة تاريخية سقطت حجّتهُ . اما الدليل الثاني ففقرة وجدها على مخطوط حديث لكاتب عصري يُدعى السـويديّ . وليس هـذا الدليل اقوى من السابق ربما تحقّق من اين اخذ السـويديُّ قوله . فيا لله أيُشيَّد بناء متين على مثل هذين الاساسين . اما البراهين الخمسة التي فنّدنا بها رأي حضرتهِ في الركوسيَّة فباقية بقوَّتها ونحيل اليها القرَّاء فانَّ في مراجعتها اظهر دليل على ما روينـا . ولا حاجة الى زيادة في الكلام اذ لا يقبل العقل انَّ رجلًا عربياً من اهل البادية كعديّ بن حاتم عرف كورس سنة ٦٢٩ وكورس يومئذٍ اسقف على مدينة مجهولة تُدعى فاسيس موقعها على ساحل البحر الاسود فتشيَّع له قبل ان يعرفهُ احد بزعيم شيعة . وما هو اغرب من ذلك انَّ عديًّا مع معرفتهِ لزعيم تلك الشيعة المدعو كورس يقلب اسمهُ ويدعوهُ ركوس . فهذه ظلمات على ظلمات

درس اللاتينية واليونانية لما عُقد موتمر المدارس الثاني في لندن في فصل الصيف الماضي ودارت فيهِ الابحاث عن الشؤون المدرسيَّة جرت ايضاً مباحثات في المواد التعليمية واللغات القديمة كاليونانية واللاتينية فزعم البعض ان درس تلك اللغات لم يعد نافعاً لاهل العصر والاولى ان تُدرس بدلًا منهـا اللغات العصريَّة كالانكليزيَّة والفرنسويَّة والالمانيـة ألا ان معظم حضور الموتمر لم يصوّبوا ذلك الرأي وانحازوا الى قول القانوني ليتّلتون الذي بيَّن ما في درس اللغات القديمة من الفوائد التهذيبية العظيمة ويسرُّنا ان نورد هنا ما كتبتهُ مجلة المقتطف في هذا الصدد قالت (٣٢: ٧٦٤):

ومن المواضيع الهامَّة التي جرى البحث فيها تعليم اللغات القديمة كاليونانيَّة واللاتينيَّة فقد قرأ القانون ليتّلتون رئيس مدرسة ايتن مقالة ضافية في هذا الموضوع قال فيها «ان تعلم اللاتينيَّة واليونانيَّة يمرّن قوتي الادراك والاستدلال واما تعلم الفرنسويَّة ونحوها من اللغات الحديثة فلا يمرّن الَّا قوة الذاكرة لان التلميذ لا يقصد الَّا ان يحسن فهم هذه اللغات والتكلم بها . ثم ان الكتب التي